طائر الغاق



قصص قصيرة

عبد السلام عمر سوف



طائر الغاق

مجموعة قصصية

عبدالسِلام عمر سوف

عنوان الكتاب : طائر الغاق

اسم المؤلف : عبد السلام عمر سوف

سنة النشر : 2009

رقم الإيداع : 1- 0499- 1 – 9959 – 978 ISBN

ردمك – دار الكتب الوطنية – بنغازي – ليبيا

هاتف : 9096379 – 9097074

بريد مصور : 9097073

البريد الإليكتروني : nat-lib-libya@hotmail.com

اسم المطبعة : يحيى للطباعة والتجليد – الإسكندرية 0122838978

توطـــئة

كل الهوايات .. حسناتها أكثر بكثير من سيئاتها .. أو بعض الأحيان تتعادل كفّة الميزان .. والمردود واضح وملموس .

تمتهن الكتابة بروح العفويّة والصدق .. تكون شمعة تضئ ركن (أيك) متشابك الأفرع .. درب مضنى لا يشعر بضناه إلا من وطئت أقدامه الحافية نتوءات أحجاره وحرّ قيضه .. واصطلاء شمسه ..!

❁ تفكّر .. أنت موجود .. تكتب أنت مشتّت .. مرهق .. منزوى .. غاضب .. مُطارد .. خائب الأمل معظم الوقت .. قلق .. منزعج ومزعج .. متوعّك .. لست بزمنك .. كل حرف مداده من دمك .. أسير عالمك ووحدتك .. وقلمك .. ووجل وسط العصف .

❁ القاص العربي المصرى / حسن عبدالموجود ، ومن مجموعته القصصية (ساق وحيدة) : هم الكتابة .. الأرق الذى يستعمر الذات الساردة .. الأرق الذى هو منطق (الوشك) لا هى حال الصحو التّام ولا النوم المغرق (الباب نصف المغلق) .. خيط بين الواضحين تختلط به الرؤى بالرؤية .

❁ الشاعر اللبناني وديع سعادة فى آخر ديوان له (نصف الغياب) 1999 أعلن هجرانه بطلاق الكتابة ، وبعبارة قاتمة (إنها كلماتى الأخيرة وها أنا أهجرها) ثم عقبّ بمرادفات عدميّة عدةّ لفعل الكتابة من قبيل (الكتابة موت ... الكتابة وهم .. الكتابة صمت) .

✿ المرحوم الدكتور / الصادق النيهوم ..

: لا أحمل منهاج لكتاباتى .. فقط أكتب عندما تكون لدّى رغبة عارمة فى أن أكتب .

✿ الأديبة / إكرام عبدى .. من المغرب الشقيق تقول :

البرزخ القائم بين حياة يحياها وأخرى يحلم بها ، يقيم الكاتب قريبا من الردهة المضاءة المسماة (كتابة) مستمتعاً بجحيم الانحدار الروحانى يبحث عن لسعة نار ولو أحرقته ، ينتعل الشمس كى يزرع حقول الأمال والأحلام فى أرض يباب جرداء ، ويقاوم **قتلة ضوء الشمس، لا يطأطئ رأسه أبداً** لليل اللاّ معنى ، واللاّ طائل .

✿ **أبو القاسم الشابّى** ، يتألم :

إننى طائر غريب بين قوم أتمنّى أن يتفهّموا كلماتى ولغة نفسى الجميلة .

✿ الشاعر المصري المرهف / **مريد البرغوثى** ..

: فى النهاية الكتّاب والشعراء يحترقون دائما فتتفجر فى السماء .. نيازك ضوئية جميلة تضئ للبشر بعضاً من حيواتهم المظلمة .

عبدالسلام عمر سوف

الإسكندرية يوليو 2009

تقدمة

اللّه سبحانه وتعالى خلق الإنسان بقلب نظيف .. وهذا المخلوق الضّعيف إذا روى بذرة الخير بالحب والأمل تسعد دنياه .. وإن تتصّت لهمس الوسواس .. وسقى بذرة الشرّ لا يهنأ بدنياه أبداً ..

بالصفحات .. أنماط .. وسلوك لشخصيات مختلفة .. متناقضة بين السلب والإيجاب .. يزخر بها واقعنا .. الذّى نحن أكثر دراية به من غيرنا .. مجتمعنا .. كياننا .. طفل نزق يحبو فى ظلِّ البراءةُ والعفويَّةُ .. خطواته المتعثّرة من صنعنا .. ومغلّفة بعدم الفهم وتحتاج إلى الفهم !

كل القصص بدايةً (بالوأد النّاعم) إلى (أزعيط)

معظم أحداثها من الواقع الملموس .. فقط (الجرس) (أوراق ثبوتية) هى تختلف ... !

✿ كتابة القصة فنٌّ ممتع .... ومرهق كمن يزرع خميلة وارفة مثمرة يستظلّ بها القارئ من قيظ النهار .. يسشفّ الحكمة .. الفكر ة الطيبةً .. فقد تغيٍّر مجرى الأمور !

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الاهـــداء

نـوع حـديث مـن الـشعر نـسميّه فـى بلادنـا العربيـة (الومـضة) ويسميّه الإنجليز (أنجرام) أبتكـره اليابـانّيون فـى القـرن السّابع عشر ، أسموه _(هايكو) .

على نسقه .

نتصافح .. نسافر ..

نخترق الضوء والضياء ..

نحلّق بأجنحة ورديّة ..

فوق السماء ..

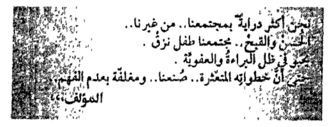
تصحبنا طراوة الحبق ..

الإبتسام وأحلام المساء ..

حنو الأم .. الزوّجة الملهمة ..

طبرق ...

وكلٌ .. وكلٌ الأصدقاء .



الوأد النّاعم

فهيم معلّم بثانويّة (الصّفاء) متيّم بالقراءة، الإطلاع، قرض الشّعر، والرّسم،

ساعده عمل والده بشركة الخليج العربي، يمدّه بالجديد بحكم سفرياته، الوالدة طبيبة أطفال.

- يا أستاذ فهيم، رسالتك، أنت رئيس لجنة التصحيح.
- (أعفني يا أستاذ عبد اللّه، تعبٌ وإحراج مع أولياء الأمور!.

وبلا مقابل، وان كان تفكرونا بشوّية فلوس بعد سنين معليش).

- أنت موضع ثقتي.

صباح صيفي صحو يعبق برائحة الإكليل وشذى زهور حديقة المدرسة المشذّبة.

المدرّسات حول الطاولة، جِلس قبالتهن، مهندم، تنبعث منه الثقة والارتياح !.

وزّع الأسئلة، كرّاسات الإجابة.

يد مخضبّة بالحناء، امتدت بفنجان قهوة، رفع رأسه :

قهوة يا أستاذ فهيم، نغمة رقيقة ساحرة، نطقتها شفاه كحبّات الكرز، غرق في عسل عينيها !.

استدارت، تموّج شعرها الكستنائي، خطت بغنج ودلال.

ابتلعت السمكة الطعم، إحساس تعرفه كلّ بنات حواء !.

انقلبت حياته، حبّر قصائد ونثر، رسم ببغاوات ملونة تلتقط عنبا، صوّر

زنابق، أمواج بحر، من الفجر، البدلة والنشا، يده على مقبض المكواة، الملابس معطرّة وحذاءه يلمع كمرآة.
لاحظ من بالبيت التغيّر، الوالد صامت كعادته، لكل أمور الدنيا، ليبي قلبا وقالبا !.
الطبيبة الدائمة الابتسام، سيّدة البيت والكون !.
- تنهدّت : يرزقك الله ببنت الحلال !.
غداً اليوم الأخير، تُسلم كراسات الإجابة، سترحل إلى (أجبيلتها) البعيدة.
زميله المدرس (جبريل) الصريح، والهزلي.
- (بوها معيان، أمتاعين سواطير، وحماتك الجديدة قتصل تعجبك، الغاوي عمى والزاهد أطرش).
- لو سمحتي يا أستاذة، التفتت، سعل، مخبئا فيه بيده، متكبرّة، كمعظم بنات حواء.
- أنا، أنا معجب !، وا، ،وا.
- أمري بيد أهلي، بنفس الغنج، غادرت غير آبهة.
ازدادت ناره اشتعالاً، بكل اصطلاء وقيض الثمانية والعشرون ربيعا !!.
- اختياره، احمد الله أبسطها يا رجل، همهم الوالد، يستر الله.
عباد وخليقة، مصابيح نيون تومض بعبارة (زواج سعيد)، حول الفيلا المسوّرة، حركة دؤوب، جوالات أرز اقصيّر.
خراف تُذبح الواحد تلو الأخر، شناني، وفرامل، أمعاء تهضم.
نساء رائحات، غاديات، يتلوّكن اللوّيان بأجساد مترهلة، كلٌ تنظر بطرف عينها لما تلبسه الأخريات، عادة بنات حواء!.
ليلة العمر، اللهفة والخجل، أطرق بجانبها، أعترف انه أحبها، من أول فنجان قهوتها " أبو وش "
- ضحكت، (مخصوص، مخصوص علشانك)!،
اتكأ على الوسادة، أخرج أوراق ملوّنة رائحتها زكيّة، قصيدة خطّها بدم انفه، عندما اصابه الرعاف، بعود ثقاب.
قهقهت وهي تغير ملابسها، ضحكة أعقبها شهيق متتالي.
- قالت : أصدقن، طيّب وهبل !،

تنبّه جزء من عقله، أخمده، عبرّ لها عن إعجابه بالكتب والدواوين، إبراهيم الفقيه، الكوني، الفاخري، النيهوم، الشلطامي.
وانه محب للغوص والبحر.
هل تعرفينهم، لم تجبه !، وواصلت حركتها.
- استطرد، أحبّ الأغاني والرسم، الأغاني مثل عادل عبد المجيد، محمود كريم، محمد حسن.
- ردت باقتضاب : مافيش حاجة نكرهها في الدنيا كيف الغنا والرسم والقراية، كدر وكلام فاضي.
- سألها معكِ ليسانس ؟!
التفتت ناحيته : نعم وبتقدير (مُتناز)، في القاعات يكتبوا لنا عالسّبورة نضحكولهم، و نضحكوا عليهم
لا مذاكرة ولا كدر !.
تنبّه جزء من عقله مرّة أخرى، أخمده بقوّة، فالشهوة نمر، يشلّ العقل !.
اليوم السابع، خروف بالسيارة، والده ووالدته، هو والعروس بالكرسي الخلفي، مطفأ الفؤاد، صراع لا يعرف كنهه !.
بدأت تحدّث ذويه محاولة استمالتهما، إمام الصمت العفوي، زادت حنقا.
تحدثت بيديها : (الصبايا الليبيات) مُستكردات، طباخات، مرضعات، أمعاناه، وغسل صحون، حتى الرجل يفترض منّه غسل الصحون، وينظف الحوش، على راسه ريشة !.)
رائحة (المربوعة) تعبق بالبخور، استقبلهم الأب، تقرفص قبالتهم، مع الصمت ~~واحساسه~~ تغيرّت نظرته.
إحساسه الخاطئ بتعالي ضيوفه، كردّ فعل غريزي، حكى عن قبيلته (الليوّث)، التي أفزعت الجميع.
وأمس احد أبناء عمومته ضرب أربعة من قبيلة (الأرانب)،
ساعات مملة، أحسّ بالانقباض، ربطة عنقه تخنقه، أتت القصاعي يحملها اثنان من إخوتها بشعر منكوش، وملابس رياضية متّسخة، نظروا نحو الضيوف.
- (كيف الحال يا هوه، راهو موش باهي لحم الحولي، كونسترون)، الأطول قامة ذو العيون الشاردة : (مفروض أي عرس، يوّكلوا الناس

(أنصاص) مفروم وهمبورقة، ليش الكدر، فهقهوا بشهيق متتابع) !، اخبرهم والدي أننا لا نأكل اللحم خوفا منه، قبض الأب، على (الساق) تحولت إلى عظم رخامي لامع !.
سعف معدته باسواط من البصل الأخضر، أعقبها بقرون فلفل، تجرّع المشروب الغازي دفعة واحدة.
تجشأ، اتجه بحديثه نحوهم :
ربع للأكل، ربع للنفس، ربع للماء، والدي يريد أن يقول شيئا ثم عَدَلَ كعادته.
استأذنّا بالخروج، وقف :
(لما اتعوزوني هذا رقم موبايلي، إنا جنب الجامع نلعب في الشيزة).
عند الباب حماته في انتظاره سلمت عليه، شاحبة، بأنف مقوسّ، تغزوها التجاعيد، ضئيلة قريبة من الأرض.
ذكرته ببطريق ذو معطف رآه بصورة معلّقة في محل حلاّق.
- (ما تزعلهاش يا (افهومة)، دلوّعة، اللي تبكي بيها، تسكت بيها).
خرجوا باتجاه السيارة، لاحظ أن عروسه تشدّ يد امرأة بطيئة الحركة، بطنها متكوّر، قالت مشيرة نحوها :
(أختي عفاف أتريد ترتاح عندي أيام علشان)، وأشارت نحو بطنها.
تنبّه عقله وسط الظلام، قشور، انت سمكة (سلوّر) بوعاء زجاجي.
لامشية غنج ودلال، ولا ابتسامة، أسنان أمامية، البقية رماها الطبيب من سنين، لا عيون عسلية، عدسات لاصقة. ولا شفاة كرز، لاشعر كستنائي،. أصباغ وماكياج، لا وداعة، ولا أدب،. تمثيل وأقنعة، كعادتهن منذ الأزل.
اخرج فرشاته، وألوانه رسم، ورسم ..... طائر غاق أسود مكسور الجناح فوق صخرة ومن حوله أمواج، وفي السماء الزرقاء، سرب، أجنحته تتخللها خيوط الشمس الذهبية.

الإعصار وقوس قزح

- فهيم، يا فهيم، عرف انه صوت بوزيد !.
بعدم رغبةٍ، حمل الحقيبة بيد، الفراش باليد الأخرى، كانت خلفه، الشرر بعينيها، لم تشف غليلها، بالرغم من صولاتها وجولاتها.
- زارد، ديمة زارد، زردة بلا ردّةٍ.
- دقات قلبه زاد خفقانها، خوفاً من قذعات بمسمع من أقرانه، متاعه بالسيارة، ركب، أخفى جرح يده غير المندمل.
- نظر إليه عبدالله بتمعّن : (رايح فيها يا أفهومه).
أعقبه إدريس : (اتقول طارشه حنش يا جماعة).
استطرد بوزيد : (عدّة الغطس كاملة ؟! راك تبقى ناسي منها، زي المرّة اللي فاتت لم نأكل سمك).
طنين بأذنه، لا رغبة في الغوص، ولا في الأسماك، ولا حتى في التنفس، تنهّد، آلمه الجرح بالرغم من ضغط أصابعه عليه، لربّما بداخله شظية زجاجية، لا يهم، في طريقي إلى القبر (كلب وطاحت عليه انخله) !، على رأيها !.
بوزيد كعادته يلقي بنكاته، أنصت محاولاً الرجوع لشخصيتّه البالية والقديمة، ثم لم يعد يسمع بقية الفكاهة، ضحكوا، ضحك معهم.
اتى السؤال : أأنت مريض يا فهيم؟، جمع كل صبر الدنيا، لا إلاّ تتهمر دموعه، أشاح بنظره، كومة قمامة بقربها كلب أعجف يلهث مخرجاً لسانه.
مع صمت الجميع، لم يجب !، عقّب بوزيد : انتبه لنفسك هذا مرض يسميّه البادية (كدره)* تقتل وقتلت كثيرين !.
المكان، نزلوا بصمت، زاد قنوطه بشعوره انه عكّر جو الرحلة،

خاطبهم معتذراً بصوت لا يكاد يسمعه من طنين أذنه المتتالي.

- اسمحوا لي اشعر بتوّعك !، أحس من نظراتهم أنهم لم تتطلِ عليهم كذبته.

- بوزيد المهم السمكات اللذيذة !. محاولة (فرج) الدائبة لخلق روح المرح

- سأشعل النار، (واسطرس طاسة شاي مثل رب العمياء، ايصبّي فيها العود).

حاول طرد المنغصّات، التي بدأت تحضر وتغيب، بلّل جسده برش الماء المالح، بعض الانتعاش تسلل في عمق المياه الزرقاء الباردة، خدَر ممتع تمنى لو استمر، برز عقله من وسط السديم، هراء وهروب.

غاص أكثر محرّكاً الزعانف، توقف بعض الشيء، عقله ثانية (ممّا أنت زعلان)!؟، لا شيء يستحق، تموت وحيداً بكبرياء أفضل من نهش كلبات وكلاب السلخانة، تخيلّهم يحملون مناجل مسننّة ويطعنونه في مساحة ظهره، تطعنه هي في الصدر والقلب والصميم.

تنبّه لرؤيته سمكة (فروّج) ❖، طاردها، دخلت كهفاً، أثارته باستدارتها وتحريك زعانفها الجانبية مواجهة، ناقص أن تخرج لي لسانها كما الآخرين !، صوّب بيد مرتعشة، ضغط الزناد، فارق السهم البندقية برغوة خلفية، إصابة في وسط الرأس. قاوم الفروّج، لا مخلوق يريد التخلّى عن هذه الحياة البائسة، ترك البندقية تنساب من يده، اتجه الفروّج إلى آخر الكهف، وسحابة غبار رملي وراؤه، يبدو انه مسكنه من سنين، الكهف ضيّق لا يتسع، الاسطوانة وهو.

الحل، المخاطرة، نزع الاسطوانة والمزوّد المطاطي عالق بفمه، امتصّ أكبر كميّة من الهواء المضغوط، ترك المزّود، دخل الكهف بسرعة، مر من تحت البندقية العالقة بسقف الكهف، قبض على السهم المريّش، حرّك، ثقل، بحركة جمباز يعرفها جيداً انتقل من وضعيّة التمدّد إلى التقرفص ويضغط الرجلين واليدين القابضة على السهم، بكل قوته، الفروج الضخم منطرح فوق صدره، شعر برئتيه تكادا أن تنفجر،

أحتضن الفروج، دفعة قويّة بالزعانف نحو مدخل الكهف، رفع رأسه ليحدّد مكان الاسطوانة، احتكت فروة رأسه بحرشف الكهف، المزوّد بفمه، رشفات متتابعة شرهه وسط الفقاعات البلوريّة المتصاعدة.
ترك الأمور كما هي، إلى حين، عاد إليه تركيزه، وبهدوء، بسلك معدني، شبّك الفروّج.
الهدف ولتخرس، يا بوزيد، السمكة النافقة منطرحه جانبه، كل شيء على ما يرام، الحربون مازال عالق، عسى سمكة أخرى، ضمّ البندقيّة بجوار الفروّج، احتضنهما من جديد، صعد مع الفقاعات، بطريقة لولبيّة، خدّه ملتصق برأس الفروّج. أمام عينيه دم متصاعد كدخان من ثقب السهم، التفت رأى دم آخر كخيط دخان، لا وقت فهو مشغول ومنشغل جداً، عجيب. العقل غائب كليّاً، فليذهب إلى الجحيم، وصل الشاطئ، لا احد بانتظاره، سحب نفسه، نصفه بالماء، الفروّج على الرمل، أزاح الاسطوانة الزعانف النظارة والثقل.
منتهى الحبور، يا رب ليتها تستمر هذه اللحظات !؟
رآهم بالخيمة، صاح، اقبلوا.
بوزيد : هؤلاء هم الرجال، يا بطل، يا، لكبر هذا الفروج !.
عبدالله : (انظروا المريض ايش يطلع منه) ؟.
إدريس : (فيشطه !، ناكلوا وياكلوا حتى أهالينا) !.
هنيهة أحس ببطولاته القديمة، رجعت غيمة القنوط أكثر مطراً، بمنتهى الهدوء، سحب الخنجر من غمده، شد الفروّج من عينيه، جرجره إلى المياه المالحة، شّق البطن بداية بالخياشيم إلى آخر الذيل أخرج البطارخ، توقف، رنا للبعيد للأفق ألازوردي طائر (نورس) ينعق يطارد آخر من أجل سمكة بفمه، تشابكا، انتزعها منه، ابتلعها، طارده مرة أخرى ورجع ينقره مخلفاً بقعاً حمراء، تابع بآلية، إما تفكيره راح بعيداً.
ليلة مرت ليست ككل الليالي، بها كل نعوت الدنيا، رجع طنين أذنه يؤرقه.
طلقني، لا سيارة ولا آكل مثل بقية الخلق، ولا زلوف، ولا كوافيره،

عايش على المعاش والسلف عِقاب مدرّس. أنت ذكر امغير بالبطاقة، بالمربوعة تحت اللحّاف فزعاً، كأن البيت مليء بجنود هولاكو، الطلاق. يضيّع الأولاد البيت والمعاش، على رأي صديقه القاضي : (تطلع بالجاكة) وربّما، عدة الغوص !، أفسدت حياته، آخر مشاجرة إبنه يصيح :

يسمعوا فينا الجيران، الصغيرة تتثاءب ودموعها منهمرة، وكيف آتى بوالدها شرح له حاله قبل الوصول، أجابه: عيب منها والله انوريّها !،

عند الباب استقبلتهم مستشيطة.

(جبت باتي، ايش ايريد ايديرلك)، أستغرب طأطأة أبيها وتبخّر ما قاله!،

(رجلي على رجلك بكرة للمحكمة).

(اهدي يا بنيتّي، يا بنيتّي اهدي، كل مشكلة ولها حل).

(اسكت يا باتي، اسكت خليني انأدبه) !.

كدره : كآبة شديدة.

فروّج : ما يسمى (دوت) وهي اسماك تنتشر بحوض المتوسط.

الجمعة: 2009.05.08م

طائر الغاق

خوّض بالمياه حتى ركبتيه، ارتعش بعض الشيء للبرودة التي سرت بجسمه !
شَخُص ناحية الأعمدة الخشبية العتيقة الظاهر جزؤها العلوي بظله المتحرك بتموّج المياه البطيء، تساءل ؟؟ أخشاب تصدّت للملح والشمس والرياح، يا للمتانة والصمود.
كل عمود جاثم أعلاه طائر غاق أسود، يميل بين الفينة والأخرى للأمام، يقارب على الوقوع، يمدّ رقبته لرفيقه على العمود المجاور، يناجيه :
غاق، غاق، غاااق !
يرفع رأسه بزهو، مقتنعا بعدم مبالاة رفيقه أو رفيقته، الدلال والتمنعّ .
أحدث جلبة مقصودة بتحريك رجليه ويديه بالمياه، اقترب أكثر أ، لم تعره الغاقات اهتماما.
الطيور الغاقيّة بعدد الأعمدة، يقف ريشها مع هبات النسيم في وقت واحد، خطوته الأخيرة، امتدّت الرقاب الغاقيّة لترى الفضولي، فالربيع وداعة وحب !
توقفّ .. أحسدك ياغاق، بجانبك أنثاك، صامتة، زادك أمامك، وكل ما حولك ملك لك.
خوّض راجعا، نزل بكلكله على كومة (تفش بحري) انبعث رائحة مختلطة برائحة السمك.
طارت أربع غاقات، اثنان، اثنان، مناجاة، تلامس، غاق، غاق، دورة كاملة استعراضية، استقرّت بعدها، رابض كل في مكانه !
على الجانب الآخر من الخليج الضيّق، شاهد طائرا (أمجوّخ) احدهم

يضرب الهواء بأجنحته الورديّة، هاويا، نحو الأرض كقطعة قماش، وصله صدى الطلقة. رفيقه صفقّ بكل قوة مخترقا الهواء للنجاة، ثم ارتطم بالأرض قرب رفيقه، انتصب مدافعا عن نفسه بالرغم من جناحه الذي افترش التراب، حاول الجري، اضطجع يائسا !
كل الغاقات وادعة، الموقف متكررّ، وشبه يومي !
هدير محرك (اللاندكروزر) :-
يونس : فهيم، بحثنا عنك، أنت هنا، (تقصع في الجرّة، نريد سمك للغداء يابطل، بالخيمة أرز وماء).
بوزيد : فهيم لم ينم البارحة، شاي، ودخان طوال الليل، لقد أزعجني.
إدريس : مسكين !! (الذيب الحريص ايطيح بكرعيه لاربعة).
الأخيرة سكين اخترقت قلبه، وجدت مكانها وسط الأنصال والشظايا والأسهم، ابتلع ريقه بصعوبة،
شخّص إلى الغاقات المزهوّة، ترقرقت مآقيه، تذكّر أنه رجل، والرجال لا يبكون !!
استقام، واضعا يده أسفل عموده الفقري، وكأن حجارة الهرم مثبتة إلى كتفيه :
فرج : الرأي هو الغداء على أحد هذه الطيور السمينة !
صاح، لا، لا، لا يمكن !
بوزيد : اغطس لا يوجد لحم بالخيمة كما قلنا لك !
فجأة شعر برغبة في القتل، تذكر الملامح، بعدما أكلو، وشربوا، وتجشأوا (بمربوعته) قال أباها وهو متكئا على الوسادة :
(بيننا المحكمة، واللّيَ له حق ياخذه)
أين البندقية ؟
نظروا باستغراب للتحوّل الذي أصابه، فتح البندقية، طلقات بالماسورة، أقفلها، وإصبعه على التأمينة، خوّض، وصلت المياه حتى وسطه، صدره، أسفل رقبته، هو والأعمدة والغاقات باستقامة واحدة،
موجة أعلى من الأخريات ارتدّت على وجهه، البندقية إلى أعلى، مال إلى

اليسار، ليرى بقيةَ الأعمدة، الرقاب الغاقيةَ ممتدةً عيونها فزعة، دوتّ طلقة، أعقبها بأخرى، خلفتّ طنينا ، شارف على الوقوع بفعل الهزة، سقطَ غاقان، فلقا الماء، تخبطاً، ثم نفقا طافيين، صفقتّ البقية، بأجنحتها تطلب النجاة، غاق، غاق، غاق، كأنها تقول، أيها الخائن !
بوزيد : أيوه أنغيّر طعم السمك بلحم الطيور.!
بداخل السيارة تضاريت مشاعره، الدنيا مليئة بالأذى والمؤذيين، أنا لست موذ، أصبحت مثلهم، أو أنا خلقت بقلب (شودرا) !
تحلقوا حول القدر، بخار مختلط برائحة كسمك السردين المملح، بفورانه، وتقلبات مياهه، يظهر تارة صدر طائر، وتارة أخرى ساق غاق مسلوخة، رمى (فرج) حفنات أرز :
بيده قطعة شدها بقوة، مرنة كالمطاط، لحمه مثل لحم العجل!
ادريس : (الله غالب ظروف الغطاس هي السبب، وضحك)!
وقف أمام الرأسين الغاقيين، عيون جاحظة مطفأة لا روح فيها، قال في نفسه (كل الكائنات جلادة ومؤذية، جلاد تحت هيمنة جلاد آخر، أنا جلاد هذا الطائر، والغاق جلاد السمك)،
تذكر الصراخ عند باب البيت، (لماذا تأتي بالفقيه تحسبني مجنونة ؟، أنت المجنون، الذي يحكوا الناس عنه، كارس مع الكتب).
همس بزفرة حارة :
هذا الخليج كل أسماكه مستقرة، هارية من البحر، ومن قروش (الماكو)، طيوره هاريه هي الاخرى من العقبان والصقور، استطرد بسخرية : القروش، القروش، ينتظرها (الخناق) ليلا، الطيور غذاء الصيادين، والشمس تظل تشرق، أحس براحة، لست الضحيّة الوحيد بهذا الكون !
فرج : بماذا تفكر أيها الكاتب ؟
أفكر، أفكر : من يطارد من ؟ من يؤذي من ؟ ولمصلحة من ؟!.
صاح فرج : الكاتب جُنّ ياجماعة.
إنك لن تفهمها، ولن يفهموها، ولا أنا أفهمها !

غداء دسم، أعقبه غطيط (فرج)، خرج من الخيمة، داست أقدامه العظام والريش !

على بعد نظره، وفي الطرف الآخر، بشر يضعون أشياء بالمياه، إنها بط بلاستيك، فخ للطيور المسكينة،

ضحك وفي حال نفسه قال: يضعون البط البلاستيكي، وهم وُضِع لكل منهم بطة حقيقيّة اقتنصته، كما أقْتُنِصتْ !

سبح بالمياه، علا لهاثه، أغمض عينيه تجاه أشعّة الشمس القويّة.

لولا الأكل والشرب ظللت سابحا إلى الأبد.

الغاق : طائر بحري لونه أسود (اسمه المحلي بوغطاس)

امجوخ : الإسم العلمي فلامنجو وهو طائر مهاجر ذو حجم كبير لسانه غذاء شهي وأكبر مستهلكيه يوليوس قيصر.

تقصع في الجرة : مثل شعبي كناية عن الكسل وهو يعني (الاجترار) عند البهائم المجترة .

الشودرا : الخدم الطبقة الرابعة عند الهندوس.

الماكو : فصيلة من كلب البحر بالمتوسط وغير مؤذ

الخناق : شبكة قوية يصاد بها القروش وكلاب البحر.

الكهف

عاد إلى وجومه، لما لا يعيش اللحظّة كالبقّية ؟ حافّة الجنون، أو جنون بالفعْل كما قالت : فجر اليوم، أمعن النظر في الوجوه الصديقة المصاحبة، ليسوا مثلي ؟، أهناك سبل لإخفاء مشاعرهم ؟!،

عاد طنين أذنه يؤرقه، فجأة !، داس فرج مكابح اللاندرو فر !!، ، مالت إلى اليمين، واصل الضغط على دواسة البنزين متفادياً الملعون، ثعلب عالصبح، مفروض نائم بقطرته مع ثعلبته العطرة!،

بوزيد : مثلنا، مثله، هارب مما وراءه، واصل الهمس مع ذاته القلقة، الحياة نصيب، أو كما قال بويوسف :

راياتك، الرأي العطيب صاحبه ما يشاورش ويندم !.

للحياة ناموس وميزان، بالعقل تتضّح الرؤية والطريق.

قال عقله : هل تشيخ معها، رنا خياله، حين مرضت وبعد العملية الجراحية عطبت وشطبّت أيام وليال، خمسة أيام بيبت أهلها تدعي مرض أمها !.

ارتاح لتتصنّهم ترهات مطرب يتغزّل بمحبوبته، الميّت فيها هياماً وكمداً.

عاد السؤال يلحّ عليه : تشيخ معها؟ ، تلتهمك مثل غولة 1.

بوزيد : يا فهيم، قلت : لا تشتروا لحماً للرحلة، البحر أمامك.

نعم، الهدف من الرحلة يا بوزيد المتعة، الابتعاد عن الضغوطات اليوميّة.

الإنسان يأكل ليعيش، لا يعّيش ليأكل !!.

إدريس : (خرّفـ2 اضرب الطيّن تلقى التراب).

فرج : (اغطس بلاش فلسفة)!.

أوه، (معاملة سلوقي3، الله أيسامحكم).

عبد الله : انزل معك، سأحمل الشك4.

بداخل نفسه، السمك المقلي والمشوّي هو روح الرحلة.

يوم غليّني5، طيور القطرس6 تصفق بإجنحتها.

ساعة غطس حر7، كهوف فارغة، اتجها نحو حُفر قنابل الحرب العالمية

البعيدة عن الشاطئ والقريبة من الحيد 8،
لا شئ ظاهر للعيان رغم خيوط الشمس الذهبية التي يعكسها قاع الحفرة الرملي، سباحة عموديّة بمساعدة الزعانف، نزعا النظّارات.
عبدالله ماذا حدث ؟!.
غسل النظّارة من بخار الماء، لبسها احتكّت بأرنبة أنفه، تذكر قولها : كيف لم أر تقوّس انفك أيام خطوبتي ؟ عقبّ، تشيخ معها، سيطويك جناحها مثل عنقاء9 !.
يقال أن في الرياح الشرقية10 يختفي السمك.
فجأة مرّت كلمح البصر إلى الجهة المقابلة، فضيّة بحجم الكف مرتيّن، أينَ دخلت ؟ فالرمال تغطيّ القاع، غاص وراءها بالرمل كهف غير منظور، صعد، غاص ثانية، بدأت تتّضح الرؤية، مساحة مظلمة مليئة بسمك القاجوج11
صعد لاهثا، فليصمت بوزيد !.
الرشقة الأولى وسط العيون الفزعة، قبض على الحربون المرتعش بكلتيّ يديه، حاول الرجوع لم يستطع، مشكلة استعان بيده اليسرى زحفاً إلى الوراء، احتك بحرشف الكهف، كل الأسماك ارتكنت آخر الكهف مذعورة !، مشكلة أخرى !.
تحدّث إلى عبدالله وهو يشبك السمكة النافقة.
أدخل الكهف زحفاً، عندما تسمع صوت طلقة البندقية تراني أُحرّك الزعانف في ذات الوقت، اغطس واسحبني إلى الوراء !، السمكة الأخيرة، سحب عبدالله بقوة، انتزع الزعنفة !
ترك البندقية والحربون يرتعش بإرتعاشة نفوق الفريسة مخلفاً فقاعات وغبار من الرمل النظيف، امسك الزعنفة، سبح صاعداً، أعرجاً، حتى السطح، انحنى محاولاً لبسها بقدمه، فطن أن قدمه كبيرة وكبيرة جداً، تذكرّها تستهزئ !.
من جديد : هل تشيخ بجانبها ؟، ستلتهمك مثل تنيّن كومودو10
عبدالله: رقبتك بها دماء.

- لا نجاح بدون تضحية !!، تمتم، لا احد يستطيع أن يشيخ معهن، ليتهن يتقيّن الله فينا !!.
- عبدالله : ماذا قلت ؟!.
- لا شيء، لا شيء.

1- غولة : كائن خرافي.
2- خرفـة : كناية عن السخرية بالمتحدث.
3- سلوقي : نوع من كلاب الصيد.
4 - الشك : سلك معدني يرشق به السمك المصاد.
5- غليّني : يوم صحو باليونانية القديمة.
6- القطرس: نوع من النوارس.
7- غطس حر : غطس بدون الرئة الصناعية (اسطوانة الهواء المضغوط).
8- الحيد : سلسلة صخور ظاهرة على سطح المياه.
9- عنقاء : طائر خرافي، الثاني من المستحيلات الغول،العنقاء،الخلّ الوفي
10- الشرقي : يقال تختفي الأسماك السبب غير معروف.
11- القاجوج : أجود الأسماك ذا طعم شهيّ ومغذي.
12- تنيّن كومودو : تنين سومطرة (سحليّة الورل) أفتك المخلوقات البريّة على الأرض.

طبرق // الأحد 2009/05/17 ف

التنتون

سعد، ندعوه (سي سعد)، حاج في السبعين من عمره، أي مرّت عليه سبعون دورة لكوكب الأرض حول الشمس !
فلكيًا، وبزيادة ربع يوم في السنة الكبيسة، تضاف لعمره سنة وثمانية أيام !
أميلُ إلى دماثة خُلقه، ثغره الباسم، أحاديثه الشيّقة، مهندم، من أقواله :
أشترِ الجيّد من ملبسٍ أو مأكل (البخيل يأكل عشاه مرّتين) !
لا يتطرّق إلى النميمة، عندما تُستلّ سيوفها يصمت أو ينسحب !
كل الوقت أحاديثه عن اليمّ الأزرق، صيد الأسماك بالصنّار:
(الصيد يجري في دميّ !! ورثته عن أبي ، لمّا الحوته (أتمسّ) مرتيّن، وثلاث، واتحصل، ينشف ريقي، كيف ليلة العرس بالزّيط) !! يتعرّق، يؤكد حديثه بيديه، يوم أن صاد سمكة (رزام)، بوادي (العودة)، أخذته النشوة، أحتضن السمكة ،. رماها أمام منافسيه، وقال :
(التصّيدة أمام (الويني) لها طعم خاص)
بوزيد : الأسماك ليست كبيرة، وقف من على صندوق المياه الغازية. البحر أمامنا (اليم أيكذّب الغطاس)! ونظر إلى
دائماً تقاطعني يا بوزيد سامحك الله، آه (رزام،. وادي العودة) !
مكان قلت (ما فيش حوت) !، لكن الرزق بيد الله !
رميت الخيط وكان الطعم رأس (سيبيا) طازج، (البوش)، التفت نحو فرج : بلاش النقّال أتكلم وواحد يتحدّث هذا غلط !!،النقّال، أثرّ في أخلاقنا وسها ربنا،واصل حديثه،. البوش بدأ يسحب،. لبست الجورب بيدي، قربت لفافة الخيط الأخرى، الخيط ينساب من بين أصابعي، رفع رأسه وقال : هناك بشر في أوقات الخطر تتفتّح عقولهم ويفكرون بعشرات العقول، زاد السحب أكثر حتى أن الخيط صدر له صوت

، .عرفت إنها حوته (امسخّطه) توقف السحب،. كأنها تريد أن تعرف هل زال الخطر ؟، فرصتي !، أوصلت اللفة الأولى بالثانية بيدي اليسرى.
زادت سرعتها، أعطيتها راحتها، أمسكت الخيط، وفي أوج سرعتها، شددت بكل قوتي، تباطأت، توقف السحب، عرفت أنها تعبت، في اليم الأزرق البعيد، رأيتها طافية ، تعكس أشعة الشمس !.
ماذا فعلت بها، هل بعتها ؟!
لا ، أبنائي عازمين أصدقائهم من الشرطة، أحدهم صنع بقطعة منها (تن بالتبّويخ)
عبدالله : يا حاج سعد، احك عن قصة صيدك للتتون ؟،
بوزيد : كملّ الحوت اللي في البحر !،.
بوزيد والنعيري،. حسديّة، والحسود لا يصطاد سمك !!
طلب من فرج أن يبتعد بدخان سيجارته، قائلاً : الجالس قريب من مدخّن كأنه دخّن نصف السيجارة،
آه. التتون بو عشرين كيلو !
ضحك ابوزيد ! نظر ناحيته، معي عيسى ! هو الذي أخرجه من الماء حتى أنني حذّرته من العضّ فأنيابه كأنياب القط !
بالليل. رميت خيطا واحدا، الطعم (سرطان بحري) انتظرت، لا حركة، البحر (أطياب)، صلّيت العشاء، دعوت الله يرزقني، وأتغلّب على الصيّادين وحتى الغوّاصين، وأشار نحوي، تمدّدت على الرمل الدافئ.
أنظر إلى النجوم، سبحانك ياالله، الخير العميم لا يأتي إلا بالصبر، غفوت، نصف استيقاظه، الخيط مشدود، سحبت. وسحبت بسرعة، معاناة، بمساعدة عيسى الذي خوّض بالمياة حتى منتصفه، أنطرح التتون متخبّطاً.
من باب الورشة، دخلوا أبنائه بزي شرطة نفس الابتسام والتواضع، فكرّت إنّها الأسرة الليبيّة الأصيلة التي تحمد الله على النوائب، تشكر على النعم.
قال أكبرهم : السلام عليكم : الحاج يحدثّكم عن الرزام، والتتون.

الم يحك عن كلب البحر و(الفكرونة) في وادي المقرون ؟ ردّ اسكت يا ولد، هذه أسرار سيعايرنا بها الأعداء ! ونظر إلى بوزيد !!
استأذن، سار معهم إلى السيارة، سمعناه، وعرفنا انه يُسمِعُنَا !
يا أولاد، الصاحب أبيبع عباءته من أجل صاحبه، ما رأيكم في رحلة إلى (محلّ صيد الأسماك).
تشتروا للبابا (ماكينة دام)، ماتحكوا أبدا على ثمنها للحاجّة ! عارف ثمنها غالي، انتم شرطة طالتكم أزيادة المعاشات.

التنتون : اسمة في الشرق وغربا (العضّاض، جغّالي) اسمه العلمي :دنتكس جيبوسس من عائلة :سباريدي.
المسّ : حركة الخيط المتكررة نتيجة قضم السمكة للطعم.
رزام: التونة القرقاطة، اسمها العلمي : ايوكيسيز روكي من عائلة ثونيدي.
العودة : احد اودية مدينة طبرق.
الوين : المنافسة الشريفة
السبّيا : لا فقاريات، الإسم المحليّ (حبّار) الاسم العلمي : (سبيدج).
البوش : امتار من الخيط توضع بالأرض احتياطا بعد رمي الطعم والثقل.
امسخطه : كناية على كبر حجمها.
بالتبوّيخ : الطهي بالبخار على طريقة الكسكسي.
سرطان بحري : عائلة القشريات، عقرب البحر.
أطياب : غليني، جو صحو.
الفكرونة : السلحفاة البحرية.
ماكينة (دام) : أجود أنواع ماكينات الصيد ألمانية الصنع.



رحلة الألف ميل

قريباً من السطح بدأت صورة القاع الرملي تختفي وتظهر حسب أمواج المد والجزر وقد تناثرت صخور بنّية احتضنت أعشاباً تتمايل شديدة الخضرة، انعكست ظلال اخترقت حزمة الضوء.

أطلت كائنات القاع المذعورة رأت البطون البيضاء ذات الأنوف المدببة والأفواه الوردية تنساب بتناغم محدثة فقاعات هوائية تتمزق بمجرد وصولها للسطح، تلجّ المياه بقفزات تستعرض مهاراتها في السباحة والغوص تشاهدها مخلوقات البر والبحر

الصغير ذو اللونّ الرّمادي الدّاكن أكثر الضلال الخمسة استمتاعاً بهذه القفزات يصدر أصواتاً رقيقة متتالية تعبيراً عن حبوره، كل هذا لم يسعد سكان القاع.

امتعض الإخطبوط العجوز ذو الأذرع الثمانية وهو ينظر إليها بعينيه السوداويتين أعلى جسمه الرخو قال :

أنها تمتلك القاع والسطح، ، عبور هذه البطون البيضاء فوق رؤوسنا أمر مثير للقلق.

هوي الصغير نحوه مثل حربون طائش، اختفى العجوز البارع وراء سحابة من الحبر الأسود الداكن.

واصلت الأجسام الخمسة الرمادية السباحة، تشقّ الماء كزوارق، بتباطؤ وبسرعة عالية أحياناً.

النظر متجة للصغير اللعوب، الغضّ عن أهوال الدنيا.

تغير مسار الأنثى، أصدرت تحذيراً متتابعاً، اتضّح الخطر، ، مجموعة أسماك ((التراخن المنقطة)) بأحجام مختلفة، تنظر بخبث وزهو نحو الأجسام الرمادية المذعورة.

واصلت التراخن المنقطة القاتلة سباحتها في هوينة، لا أحد يجرؤ أو يقترب

من أشواك سوداء سامّة مزروعة خلف الرأس، الأنثى في الأمام والأربعة خلفها قفزات بهلوانية حبّية استعراضية.
انعدام الثقة بالصغير اللعوّب، غافلهم غاص للقاع، فزعت (الشلبة الذهبية) تفرقت مذعورة.
بين الأعشاب الخضراء المتمايلة، فوجئت سمكة (العضّاض) وهي تقتات بهجوم العدو المباغت تفادت الفم المفتوح وبحركة لولبيّة غرزت أنيابها الأربعة في الجهة اليمنى من رأس الصغير، وولت هارية، ارتعش جسمه ألماً، غاصت الأنثى نحوه بسرعة، صعدت معه وهي تنظر للثقوب الأربعة المنبثق منها دم احمر.
تكونت دوائر من المياه يزداد اتساعها كلما ابتعدت عن المركز مع حركة الأجسام الرماديّة، اشترك الأب في عقاب الصغير المشاكس بضربه من انفه المدبّب على رأسه أعقبته لمسة من الأنف الأنثوي مع نظرة لوم وعتاب للذكر السابح الذي لا ير إلا الدرّب والهدف، ككل ذكور الدنيا.
رغم شعوره بالاطمئنان، إلا أن حدقتاه كانت تدوران في كل الاتجاهات، للبحث عن مغامرة.
التنبيه هذه المرة أتى من الذكر، أصدر نغماً متتالياً وسريعاً غاص، مرور سفينة دويّ محركها يسمع على بُعد ذات مروحة نحاسية تدور بالرغوة البيضاء.
رجعت الضلال الخمسة إلى السطح بدأ القفز ثلاثة بالماء مقابل اثنان بالهواء، لم يسمع صوت الصغير مناداة في كل الاتجاهات، فجأة خرج من الماء بفمه (حبار) ينتفض.
بدأت الريح تهدأ والأمواج تقل سرعتها رويداً، الرحلة صعبة، والمئونة ليس لها وجود إلى الآن ولا يأس.
في القاع سفينة قديمة مهترئة، اتخذتها والكائنات البحرية ملاذاً.

دار الخمسة دورة سريعة على الجهة الجنوبيّة للسفينة المظلمة اتجهّوا شمالاً وراء ضالتهم مجموعة من أسماك (الأنشوجة)، بدأ تلوكُ الأسنان للحمِ الطريّ الأبيض زاد الرحلة.
صعود، تقارب أكثر للأجسام الرمادية، الغوص هذه المرة له تخصص، بحيث أصبحت أسماك (الأنشوجة) بعددها الهائل، محاطة من الخمسة، ومن هول ما رأت سبحت مستسلمة ناحية الاتجاه المرسوم الشاطيء الدافئ، وهي تعرف أنها الزاد لحين الوصول، تتابعت الرحلة بوجود الأسرى الصغير اللعوب في معاكسة خصمه الضعيف.
الوقت.. غروب، وسط المياه الزرقاء وفي المواجهة تماماً جسم يسبح ناحيتهم، بعينين شرهتين، زعنفة في الوسط تخترق لجة المياه الزرقاء وأخريين على الجانبين فم تحت رأس مليء بالأسنان، قرش من فصيلة (الماكو) عصبيته واضحة فهو لم يتحصل على ما يأكل، دورتان، والثالثة هاجم علقت بفمه سمكة والثانية طفت نازفة،، دفاع من قبل الدلافين الأربع وفي وقت واحد ضرب مباشر على الخياشيم الفضية، انتفض من الألم سبح هارياً ومذعوراً، مفضّلاً مبدأ السلامة.
خيمّ الظلام، صوت مناداة للصغير، أتى مسرعاً والسمكة النافقة بفمه.
بودلت النظرات.. سبح الجميع بنفس التشكيل.
اليوم التالي، الجو صحو، والسماء صافية، الشمس بأشعتها الذهبيّة تنير القاع، الرحلة في تواصل وقرب نهاية المهمة .
الشاطيء البعيد بصخوره البنّية المرتفعة، وأسماك الأنشوجة في القاع، قطيع أغنام داخل زريبة.. لحين التزاوج فالمؤونة تكفى، مشدودي الأنظار للأسماك خوفاً من هروبها، وبالتفاته صوب الصخور العالية،.
أجساماً تتحرك في البر، احدهم يرمي بجسم غريب، وقع بالقرب من الصغير المشاكس تخرج منه فقاعات، لم يحتمل الصغير متعة النظر، تبع الجسم غطسا، دوي انفجار، صعدت المياه كنافورة، مختلطة برمال

وأعشاب القاع، . تحوّل المكان إلى أسماك نافقة طافية بيضاء اللون.
وعلى صخور الشاطيء عمل مستمر، من يجلب الجوالات، وآخرون يخلعون ملابسهم استعداد للسباحة، مع صراخ يشبه الزغاريد.
علامة الانتصار، وأنه يوم طيب ومشهود.

التراخن المنقـّطة : نوع من الأسماك السامة اسمها العلمي (تركينس ارينوس).
الشلـبـة الذهبية : سمكة موجودة بشواطيء البحر المتوسط ذهبية اللون تسبب لمن يأكلها بكثرة الكوابيس الليلية.
العـضـّـاض : اسمها العلمي دنتكس توجد في البحر المتوسط بالجهة الغربية تسمى (دندشي) القط و الشرقية تنتون.
الحـــبّـار : باللهجة العامية (السيبيا)، حيوان غضروفي (السيبدج) مفيد كغذاء وشهي الطعم، وأيضاً من أفضل
استعمالاته طعم للأسماك.
الأنشوجة : نوع من الأسماك والاسم المحلي لها هو (المشبطة).
الماكـــو : نوع من القرش، قصير الزعنفة، يعيش بالبحر المتوسط من عائلة لامنيد.

رجل مريض جداً

الأرض دحوّية كما قال عبدالله يعني بها كروية بأسلوبه المازح، تؤمها أجناس وألوان مختلفة الكل يحمل حياته بمتناقضاتها ككتاب بين غضب، فرح، حزن، حب، يأس، أمل، بوتقة غير متجانسة.

نفور من الغوص والتخييّم لا أدري كنهه ربما لإحساسي أنه هدراً للوقت السعي وراء المادة أكثر جدوى، لكنني قنوع، أيام في تساؤل اعتذر عن الرفقة، العقل، نعمة إلهية لا يترك سؤال بدون إجابة، الرحلة الأخيرة.

- بوزيد : بصحبتي صديق، ضيف.
- مرحباً بضيفك :

(شاطئ بوحلقومة) أم ركبة، بعد جهد من فرج والنعيري، خلال زمن، كنت غائصاً بالماء في لجة اليم، ساعة، أفرغت الهواء المضغوط بالأسطوانة وفي نفسي أقول معنا ضيف لا يعقل نتركه من غير أن يأكل سمك.

رشقه حربون هنا ورشقه هناك صيد وفير امتلأ الشك المعدني من الأسماك : مناني، فروج، قاروس، وقاجوج، وختمتها عند رجوعي (بستكوزا).

استقبلني فرج بكوب (نسكافيه) حملت الشك باتجاه الخيمة تغمرني مشاعر لاعب كرة سجل هدفاً، تسبب في فوز فريقه.

وجدت الضيف جالساً يشرب الشاي، بتأني نظر الي والى السمك المنطرح، قلت :

يا ضيف أنت (أويرة) مشاء الله، لمعان غريب بنظرته، نحىّ وجهه صوب الأفق،

- النعيري : (اللهم صليّ على النبي هذه الرحلة وإلاّ بلاش).
- بوزيد : (سترتنا مع خونا (الهرام)الله يسترك).

تنحنح الضيف عدّل من جلسته، مستغلاً وسادتي، قال :

(ابن عميّ غواص كبير حوت كي هذا أيجيبه في خمس دقائق، جذعان قبيلتي صيادين بر وبحر ماالصغير للكبير) ، صمت، لم يرد احد لاحظت الإحراج على بوزيد، ولتهدئة الموقف قلت :
(المهم الضحك واللعب في الرحلة، نحنا عائلة واحدة،
- الضيف : (يحساب، جايب الذيب من ذيله)، انسحبت لتغيير بذلة الغوص،
- فرج : وهو يسعل : (الطعام على نار الحطب أفضل من الغاز) شاركت في الحديث : (صحيح حتى الشاهي والقهوة)
- الضيف : (كيف بعضها أمغير تكذبوا علي أرواحكم، كلها نار وحدة).
في اليوم الثاني، تساءلت ما هذا الرجل ؟
كنت بالماء انتابتني روح غريبة، غصت في العمق زدت سرعة الزعانف، توفيراً ما بالأسطوانة الثانية،
مصمم أن أصيد أكثر عدد، وأكبر حجم، سالت دماء، لم تضع فريسة، قال عقلي : ما هذا ؟! صرت عبداً لهذا المعتوه !!.
خرجت من الماء مع تهليل بوزيد والنعيري، تغيّرت ملامحه، نظرت نحوه وأنا مبللاً بالماء.
مارأيك يا الهرّام ؟! أجابني بصوت مبحوح، ابن خالتي بدون اسطوانة يعبئ شوالات من الحوت وليس الجرابيع التي تصيدها، حلف اليمين، النجع كل ليلة يتعشوا في حوت.
رأيت فرج يحاول أن يكبح جماح نفسه، ثم نطق غير آبه ، مشيراً بأصبعه نحوي : (اغطس يا فهيم جيب له الحوت الأزرق بالكي يسكت)
استدار ودخل الخيمة، انزوى بركنها .
- (لا يا فرج زعلت الضّيف، مفروض انتحملوه).
صاح فرج بأعلى صوته : (يابوزيد امنين جبته ؟)
أسمه الهرّام وكمل الزّردة أيهرّم علينا.

2009.05.22 ف.

زمن الرماد

طرقع أصابع يدهُ ذات السُلاميات المعروقة والتي سحب الدّهر الدّم من ثناياها، بقايا حُسْنٍ آفل على الوجه ذي الوجنتين الناتئتين أخفاها الزمّن وراء تجاعيده !.
بعينين لامعتين عناداً وعدم اعتراف بالهزيمة.
تلفت حوله، كمّن يبحث عن شيء ، ألتقط حقيبة متسخّةً ببقع حبر أثار (حبّار) يستعمله كطعم لصيد أسماكه، وضعها على كتفه. أنحنى بصعوبة، آخر ما أمسك علبة الرياضي، نظر إلى ما بداخلها، ثلاث لفافات، هزَّ رأسه ووضعها بجيب بنطاله، جال بنظره في أرجاء الغرفة الباهتة، خرج مصّفقاً الباب .
سلك طريقه الترابُي المعتاد، أصدر صفيراً، أُستجيبَ له، بقفزةُ هنا أخرى قريبةَ منها، هازّاً ذيله مع صوت وديٍّ مُرحب، أدخل أرنبة أنفة السّوداء بين رجليه مما أعاقه عن المشي بعض الشئ، وبرد فعل غريزي ربّت على ظهر الكلب،
واصل متفادياً شجيرات (النّم) الخضراء المخَضّبة بالصفار، التقط زهرة وضع جزءها الخلفي في فمه أمتصّ رحيقاً حلو المذاق، توقف عند الشاطئ الصخري مسح جبَينه، فتح الحقيبة، الخيط الملفوف النيلي، تأكد أن الشصّ مشدود (بإحكام) قطعة حبّار بأنامل خبير لا يظهر من الشصُ إلاّ الجانب الإبرىُ الحاد.
وقف متحدياً آلم ظهره، أمسك الخيط من مسافة قامة، حدّد مكان الرمية، لفه دائرية أولى في الهواء يساندها الثقل المتوازن العالق بخيط أقل سُمكاً من الخيط الرئيسي.
حدث نفسه : لو كان الثقل (رصاص) بدلاً من (شماعي احتراق السيّارة) لكان أفضل، لفةَ دائرية ثانية أقوى ثم ثالثة، أصدر الخيط والثقل صوتاً

باختراق الهواء، أفلت الخيط من يده باستقامة،
صوت ارتطام الثقل بلجة المياه الزرقاء أحدث فقاعات صابونية، رويداً
- رويداً أستقر الثقل بالقاع ساحباً الطعم في أثره.
أفرغ قامات من خيط اللفة الرئيسي على أرض رملية،
رفع الخيط المشدود أعلى رأسه بكلتي يديه، اليسرى بأصابعها الثلاثة تذكار صيده القديم (بالديناميت) جذب الخيط نحوه مع رجه عدة مرات. قطرات المياه اللؤلؤية تتساقط عاكسة أشعة الشمس. جلس القرفصاء قريباً من (البوش) على جزء رملي دافئ، تنهد بارتياح. الترقب، الانتظار، اللهفة، كأنه على موعد غرامي، آه!! لفافة التبغ، أخرج العلبة المثنية الأطراف أصلح حالها. ثم بانتباه قال : لقد تركت الخيط حراً يا للخطأ الشنيع. أتى بعلبة زيت قديمة لف الخيط ثبتها بالرمل وضع حجر صغير فوق العلبة!!
لفافة التبغ تناغم بين كل الحواس، السبابة والوسطى من أسفل والإبهام من أعلى ضاغطاً علبة الثقاب الشمعي، بأصابع اليمنى أشعل العود،
مجه، أعقبتها مجتان، آه لو كانت هنا (طاسة شاهي) لا يوجد شئ كامل،! دوار خدري ممتع بدأت معه رحله الخيال الضبابية بما يشبه (لنيرفانا) تحدد حلمه آه لو امتلك حصان ابيض، موفور العافية، أحادثه على الدوام،
تذكر بنات حواء، شقاء الدنيا وسعادتها !! رمي عقب لفافة التبغ بالمياه الزبدية،
العافية والشباب، بداية التذوق وقشعريرة اللقاء، شعرها الكستنائي المسترسل، عيناها الحوراوتان الضاحكتان، وجد أن ضحكاتها توزع مجاناً للكل، نعتها بالطيش والرخص وإنها أتفه من أن يضيع وقته معها.
سحب الخيط بتؤده، وقف، أعاد لف الخيط حول العلبة ووضع الحجر من جديد، أشعل لفافة التبغ الثانية تلمساً للخدر الحسي،
اللقاء الثاني معهن، بمصحة - كانت من ضمن طاقم المصحة - أنيقة باللباس الأبيض، سهر الليالي مع نكهة أم كلثوم،

الغيرة واللوعة، وفي يوم محفور في ذاكرته، ريح القبلي بغبارها تصفّر من خلال فتحات النوافذ مع رائحة التراب،
اعترفت له إنها مريضة. وأن عليه مواصلة دربه،
شعر بالجوع يقرض معدته، في حال نفسه قال : فدرك أن تولد أميراً تأكل بملعقة من ذهب أو فلسطينياً بغزّة،
أستطرد، حديث لا طائل منه !! انسابت الذكريات بضبابية حلوها ومرّها، نجوميته، التهليل والتصفيق، وهو يعدو مثل جواد جامح، يتصبب عرقاً بالملعب الأخضر المعشوشب، أصوات المدرجات بنبره واحده (العشلة، العشلة، العشلة، صقور، صقور نهاية المباراة يُحمل على الأكتاف، الدنيا لا تسعه.
صحا من ذهوله على صوت محرك سيارة قريب، نزل أربعة شباب، بدأ عملهم، خيوطهم مشدودة باليم الأزرق، قرر الرحيل، روح عناده وإصراره أبقته وبدء اللامبالاة من جانبه أيضاً، أشعل اللفافة الثالثة والأخيرة ويد مرتجفة رمي العلبة.
وضع الخيط أعلى سبابته، حركه متتالية تشبه الوخز مع ارتخاء الخيط تكررت متباعدة وبالفطرة الغريزية (تحفز) جذب قوى مفاجئ جرى معه الخيط فوق السبابة مسبباً جرحاً غائراً مؤلم. صرخ من الألم، الخيط يخترق المياه،
أسرع نحو اللفة ثم من داخل الحقيبة أخرج لفافة أخرى ربط رأس الخيط باللفة الرئيسية ساعده البوش في أخذ فرصته.
شعر أنه سيد الموقف والمعركة؛ نظر إلى الدم المنبثق، لا وقت بعزم شدَّ الخيط، وضعه على كتفه عدة خطوات تركه.
عاد مسترسلا أكثر شدة بقوة، مع وضعه على كتفه مرة أخرى متحملاً الألمين.
خطوات أرجله الحافية متشبثة بالصخر الحاد.
يعرف أن الأخيرة تقضم ظهر هذا النوع من السمك (الشوّله) مهما كان حجمها.

بالفعل هدأت الحركة أصبح الخيط يجر ثقلاً أقصى درجات هلعه واستعداده الذهني والبدني.
سمع احدهم يصرخ أن خيطي به صيد، (هلموا).
تكوّرت المياه بالقرب من الشاب.
كثر لغظهم، ومن البطن المائية خرج رأس السمكة الأزرق.
تمتم، يا إلهي لم اصطد شوله بهذا الحجم طيلة حياتي، أنها بطولي، اشتركوا في سحبها لـ أرفع اسُحب.
شد السمكة منطرحة على الصخور المرجانية، براَّقةُ نظيّفةُ.
للمرة الأولى نظروا ناحيته، اخرج أحدهم الشص العالق بفم السمكةُ حذفه بإتجاهه.
رفع أريعتهم السمكة بالسيارة ذيلها الهلالي يهتز ويلوح.
وهو مشدوه فاغرا فاه، ممسكاً بسبابته النازفة، نظر إلى الأرض إلى بقعة الدماء، فيما الشمس تجنح للغروب.

****

أوركـــــــا

حامد : شباب، نتوّكل،نمخر العباب.
نعم، هدير محرك أليماها،. روح تبعث النشوة والأمل، ارتفعت مقدمة القارب تشق الأزرق.
فتحي : (اعرف المكان ياجماعة رغم انه بعيد).
حامد : يافهيم لما أتشوف البريمّة ارم الخرقة.
ولا تكثروا من الحركة نجر السمك للشبكة بالوادي، انساب مخترقاً الأمواج الزبديّة،. عم هدوء تأملي مثل نيرفانا، هواء منعش، شمس ساطعةٍ أفق ازرق ويم مثل مرآه، يتمايل القارب المطاطي بحرفته حامد، متفادياً قطع النايلون الطافية لئلا تعلق بالمروحة.
يؤرقني طنين أذني، عودة الذاكرة لصفحة الألم التي انسابت، كما مسخ، قميء، يوم من أيام اليابسة.
- (ياعم) لا أريد إحراجك القضيّة لا تحتاج زعل، تتحل بالود، تأخذ والدتي الأرض الزراعية الصغيرة حتى لا تقوم مشاكل بين أبناءك، وأبناء إخوتي، وأحفادهم في المستقبل، الدنيا لا تقف عند حال).
- (إخوتك من أمك (برانّية) أنت لا تفهم، ارضي وارض أجدادي أنسلمّها لقبيلة أخرى، أكتاباتك وعيني معاد تراعيك).
مادت الأرض أصبح قلبي أثقل من ذي قبل،
عرجت على مبنى التعليم عساني أجدها أكحل عيناي بمرآها، نسمه في اصطلاء الآتون رأيتها جالسه تغطي فيها بكفها ، دخلت، كان قبالتها واضعا رجلا على أخري بهندامه المبالغ فيه، مددت كفي المتعرقه نحوه.
- أهلا أستاذ فهيم.
شددت كفها الشمعية الصغيرة، مسحت بقايا دموع فرحة.
عرضت خدماتي مداراة لما أنا فيه، خرجت، كانت ورائي.

- أستاذ فهيم : يريد طلب يدي، وهو جاد،. ما أتمناه صداقتنا ، كنت نعم الأخ.
صديق أخ، شعرت بالرغبة في صفعها وقتله ركلاً.
هي من قالت: انك كاتب، احتضنت ما كتبت، أدخلته المنظومة، قارض ورق بقلب معطوب، عاد طنين أذني، ثم استدارت ومضت غير آبهه.
اجرجر أقدامي، كحصان يجرّ عربة تراب مبلل، كم تفيض الدنيا خيانة وشراسة.
إلى أين؟، بالبيت ينتظرني سيّاف هارون الرشيد، مكتبي،أتحقق من ندوب الدنيا، قبالتي الموظفة عزيزة، شعرت إنني أريد أن احكي، المرضات والعاملات وراء الزجاج ينظرن و كأنني جرم، زاد الهمس سألت ماذا يحدث؟
- أستاذ فهيم : بصراحة أتى رجل قال عنك كلام غير لطيف.
- معقول، من هو، وماذا قال ؟
قال انك غير طبيعي ومريض ضربت أمين التعليم بمطفأة سجائر وهي سبب نقلك هنا. وصفته عرفت انه صديق العمر المرالذي لا أعرف هزله من جدّه.
لا عم، لا حبيبه، لا زوجة، ولا صديق، كم مليئة الدنيا بالخيانة، والألم.
- حامد : يافهيم : ألخرقه ارم الخرقة.
- فتحي : الله اكبر صلوا على النبي ، المياه تفور كقدر، جحافل من سمك البريّمة.
- حامد : لا حركة ولا صوت، عدّل وضعية القارب المطاطي باتجاه الوادي الخرقه تتقلب في العمق ووراءها الأسماك، كما نشتهي. فجأة لـ
- حامد : السمك اختفى،. يا رجال غير معقول.
فتحي وجهه بالماء مرتدي النظارة تلفت، رفع رأسه قال :
لا شي،.لاسمك ، جسم مثل طوربيد متجة نحونا زعنفته تشق المياه،. مرّت بمكان رأس فتحي اختفى،. نظرنا إلى حامد، أشار إلى الصمت

بأصبعه ، ادخل يده بالمياه ببطء رفعها ، الجسم السابح ، أسرع من ذي قبل إلى مكان اليد.

- حامد : أنها زرقايه ، أو قرش ابيض كبير لست متأكدا.
- فتحي : وزنها أكثر من طن، سبحت في دوائر متباعدة تحتنا مباشرة.

بأتجاه الشاطئ الرملي زدنا السرعة للنجاة ، بمحاذاتنا حتى المياه الضحلة تكوّم القارب المطاطي على الرمل تنفسنا الصعداء.

- حامد : الحمد لله على سلامتكم، لموّا ديشكم، وهلكم.

- اوركا : الحوت القاتل، يهاجم في شكل مجموعات وأفراد بخطط إستراتيجية، عن طريق ارتداد الذبابات حتى في المياه الضحلة، لديه ذكاء بدائي.
- الياماها : اسم لنوع محرك ياباني الصنع مخصص لقوارب الصيد.
- الزودياك : قارب مطاطي مفضل في الصيد لسهولة حمله وسرعته وصغر حجمه ودخوله حتى في الأماكن الضيقة.
- بريمة : الاسم المحلي صغير الشولة، واسمه العلمي سيريولا دوميريلي من عائلة كارانجيدي.
- الخرقة : قطعة قماش بيضاء اللون.
- وادي : يقصد به وادي بالعفاريت بمنطقة كمبوت الساحلية شرق مدينة طبرق، جغرافيا نقطة وسط ساحل الوطن العربي.
- نيرفانا: حالة اللاوعي عند العقيدة البوذية والتبت.
- برانية : من قبيلة اخرى.
- الآتون : التنور (الفرن).
- القرش الأبيض. الأول من مائتين وخمسين نوع في الافتراس.

الغروب الأخير

ليلة ممطرة شكّلت غدراناً تعكس الضوء، بجوار كوخ بُني بصناديق عتاد عسكر الحلفاء يُسمع صوت المزلاج وهو يُفتح من باب وسط الكوخ، ُصنع من قطع أخشاب وزنك له صرير مميَّز عند الفتح !!!

الوقت صباحاً بدأت تباشير الشروق، أحد الأيام الربيعية، والمكان يعبق برائحة نبات (الشيح) و (القميلة❖) .

فُتح الباب بصريره المعتاد، أول الخارجين عنزة، اشرأبّت بعنقها بعض الوقت، للتأكد من أنهّا تحصلت على حريتّها، قفزت إلى الخارج وصوت مأمأتها يعلو صداه في الحي، الذي لازال سُكانُه نياماً، وراءها كان وليدها (جديٌ منقط) تبدو عليه علامات العافية والزهو، مأمأ هو الآخر ثم قفز وجرى وراء أمه لا يلوى على شيء، رافعا ذيله القصير مع ارتعاشة متتالية.

أوّل ما ظهر من فتحة الباب وجهها، نحيفة طاعنة في السن، أخاديد تنمّ على أن صاحبته عاشت الدنيا بين كرٍّ وفرّ.

بيدين معروقتين أمسكت حافة الباب، تساعد جسمها الواهن، جالت النظر يمنة ويسرة علّها ترى احد أبناء الجيران يأتي برغيف الخبز اليتيم اليومي، قررت الذهاب وبدون مساعدة!!

خطوة كاملة تتبعها نصف خطوه مع ميل الجسم النحيف ناحية نصف الخطوة، إصابة أيام الصبًا إثر لغم ايطالي أودى بأختها ونجت هي، كتب لها عمرٌ جديد وبصعوبة.

خطوة كاملة، ونصف خطوه، الطين يعلق بالأقدام النحيفة ذات العروق النافرة.

وصلت المتجر، دفعت ثمن الرغيف، رجوع بين المنازل، متفاديه برك المياه

ذات العذوة الزيديّة، نظرت إلى النوافذ المغلقة، همهمت بصوت منخفض ومبحوح : لا زالوا نياماً، مرتاحين !!.
أغلقت الباب بإحكام، بالدار بقايا سرير، وكرسي عتيق، وعلى الأرض موقد نار نحاسي(وابور) يعمل بالكيروسين.
تقرفصت بالقرب منه، بعد أن وضعت الرغيف على الكرسي، أمسكت الموقد بيديها الاثنتين، قربته من وجهها، حركته يمنة ويسرة، تتنصّت لتعرف هل يحوي كيروسين.
وضعته على الأرض، كفّ اليد بأصابعها تضغط على المقبض،تدفعه، والثانية تساند من الجهة المقابلة، انبثقت زخّات الكيروسين من أعلى، توقفت، أشعلت عود ثقاب، وضعت شعلته في حوض الكيروسين الدائري الصغير، اشتعلت نار في البداية واهية، ثم أصبحت هاله مضيئة، عدّة دفعات للمقبض ثم صدر صوت تعرفه، الوابور بدأ في تأدية دوره على الوجه الأكمل !!
تمت العملية بهدوء، ، وصلت معدتها الخاوية لقيمات الخبز، ورشفات الشاي.
وقفت في وسط الدار، بصعوبة، فآلام الظهر كانت من ضمن من رافقوها سنوات عمرها الطوال، خطوة كاملة، ونصف خطوة، مع اتكاء الجسد ناحية نصف الخطوة، خارج الدار ، نفس المكان على صفيحة، جلست تستمع بدفء الشمس، انسابت ذكريات مّرت ولن تعود !!
الذكرى الأولى، مع ابن العم (شرفاد)، أيام الرعي والخضرة،والعمر ربيع، العشق، صوت خليل، المواعيد المختلسة، خفقان القلب الواجف (نشفان الريق على حد تعبيرها)، زمّت شفتيها، همهمت : دنيا !! (من يعيش واجد، ينظر واجد). استطردت بصوت حزين خافت (اتقول ضالة معطان اتريض في عزيز اوتلتغب) ❖❖.
فهي لا تعلم عن شرفاد شيئاً، (الحياة مركوب القوى من يسقط لا سؤال عنه)، تذكرت كيف هجرها بسبب العرج بعد أن قال: أنني أخاف

يعيّروني الناس بيك !!
انفطر قلبها، بنات عمومتها تزوّجن واحدة تلو الأخرى، ڪل خميس زفّه، البطانيّة الحمراء فوق (البلمينو ❖❖❖) البوق المتقطع، والسائق المبتسم، الزغاريد، وطلقات البنادق الايطاليه والألمانية، فؤادها كأنه أتون لا أحد يريد الزواج من العرجاء الفقيرة.
السنون، الدائرة تضيق ، وحوش تنهش لحمها بألسنة ونظرات قاسية، أسموها، الزاطلة، العانس، العرجاء، الشّكلة !! ❖❖❖❖
يومٌ تتذكره جيداً، جاء رجل يبحث عن عمل، وجد أبيها في الحقل وهي معه، استرقت السمع أجابه : لدي ضأن تحتاج راعٍ، وافق، مسالم، خجول، نصبت الشباك، لكل كائن فرصة.
مرّ الوقت، طلبها من أبيها، أُعلن الزفاف، فرحتها لا تضاهي، عاد كيانها، ودماء الحياة سرت في عروق جسدها ذي الخمسة والثلاثين ربيعاً !!!
ركبت (البلمينو) رأت البطانية الحمراء تنشر على سقف (البلمينو)، صوت البوق المتقطع ، (البلمينو) يلف بالحي وهي غير مصدقة.
بمساعده الأهل، بنوا الدار من صندق العسكر، أصبح لها بيت وزوج، مثلها مثل رفيقاتها، ولا أحد أحسن من أحد.
شهور، والحال حسن وجيد، تزور وتُزار، أصبحت تشترك مع النسوة في حديث العصاري، تصف تلك بالحول والأخرى بالبشاعة وغيرها بالدمامة وسوء السلوك !!
وفي يوم سمعت أباها يقول لزوجها :
يطلبون عمالاً في الميناء داخل المدينة (طبرق) ما رأيك ؟
أجاب الزوج : المسافة بعيده، (حي الحطية) يا عمي يبعد كثيراً عن الميناء.
أجاب الأب : بسيطة، مشكله حلها بسيط.
في اليوم التالي دراجة نصف عمر ، متكئة على جدار الدار، تحصّل على العمل !!

كل صباح تعد الإفطار، يركب دراجته ذو همّة وساعدٌ قوي لصعوبة العمل يتأخر في الرجوع إلى البيت !!

تنتظره وعيناها تقدحان شرراً : لماذا تأخرت ؟؟ أين كنت ؟؟ لست خادمة لحضرتك؟؟،

يبدأ الشجار صغيراً، ثم يكبر، يجلس بالخارج ريثما تهدأ العاصفة، عسى أن يحفل بلقمة لمعدته الخاوية بعد عناء يومه المضني !!

استمر الحال، ذات مرة كانت ثائرة أكثر ، لدرجة أن يدها لمست وجهه، صفعها بشدّة، وكأنه يريد أن ينتقم لكل ما مضى وما سمع، التقطت (وابور الكيروسين)، الضربة في وسط رأسه تماماً، تتذكره و دماؤه تسيل مع رائحة الكيروسين النفاذة، وهو مشدوه فاغراً فاه، واضعاً يده على مكان الضربة، نظرته الأخيرة، خروجه، امتطائه الدراجة، تضاءل حجمها مع خط الأفق الأحمر لم تره إلى حين الساعة، تركها حامل خمسة شهور، يالقسوة الرجال (لقد شمتً في القاصي والداني) عليهم اللعنة جميعاً، لو كان عندي يد لوضعتهم في التنور واحداً بعد الآخر !!!

شعرت برغبة في رشفة ماء، وقفت بصعوبة مع آلام ظهرها الرفيقة، خطوة كاملة، نصف خطوة، مع ميل الجسد ناحية نصف الخطوة، وصلت إلى صحن الدار، أمسكت القدح،شربت، وضعت الكوب مكانه، عاد الألم يعتصرها، تذكرت غناوتها ((، امعيشه أمغير عذاب،. العقل لو شرا موت خيرله،))❖❖،

بنفس الخطوة الكاملة، ونصف الخطوة، إلى الخارج، عرجت على كيس مهترىء به بقايا خبز جاف، وبصوت تعرفه، نادت، كانت العنزة قريبه من الساقين العجفاوين، والجدي المرقط يتقافز هنا وهناك، يلتقط ما ترميه له من خبز جاف.

صوت بالقرب منها : صباح الخير يا مبسوطة. صباح الخير.

رفعت رأسها، انه جارها المفتش في التعليم، الذي يعطف عليها دائماً، يحملها للمستشفي ، ومن يدافع عنها من البلدية حين يأتي جنودها

يريدون اخذ الماعز للسجن أو هدم الصفيح.
نظرت إليه : صباح الخير. لسان حالها يقول : (لقد مشط شعره، ورائحة عطرٍ تفوح، سعيد، ومرتاح) !! على حين غرَّه، تذكرت ابنتها التي هربت مع زوجها لمدينة بنغازي، وأقسمت اليمين ألا تزورها مدى الحياة،ووافقها الزوج، بعد أن وجدوا أكثر من حجاب سحري، وعقادي في ملابسهم، ومرض زوجها الذي شكت ابنتها أنها هي السبب.قاريت أن تريحها من زوج بخيل لا يهون عليه القرش.
الخطوة، ونصف الخطوة، إلى داخل الدار، أقفلت المزلاج من الداخل، !!!
نظرت إلى كل ما في الدار، جلست قرب صندوق خشبي عليه رسومات، سفن وبحر هائج، فتحته، رائحته زكيّه، أول ما أمسكت به يدها، (رداء وردي اللون، بوخمسه واثنين)❖❖❖❖❖ والذي أهداه إليها الزوج الهارب، شعرت بغصّة وآلام ودوار، عاودتها النوبة، نسيت أن توصي جارها حين مروره على الدواء.
زاد الألم، شعرت أن سقف الدار يدور، الألم في وسط صدرها كسكين ذو شفرة حادّة، وضعت يدها مكان الألم، أرادت أن تصرخ، لم تستطع،نصف دوره، وقوعها فوق الصندوق ذو الرسومات، وجهها على رداء الحرير بوخمسه وأثنين، هدية الزوج !!!!

##############################

* نبات طبي يسمى البابونج
** أشعار شعبية تسمى غناوي العلم
*** البلمينو سيارة تستخدم للزفاف خلال تلك الفترة
**** الزاطلة تعني غير المرغوب بزواجها، والشكلة تعني المنحوسة
***** نوع من الأردية المقدمة أثناء الزواج

كائنات بعيون مطفأة

زغاريد علا صداها في كل أركان الحي السكني (الجبيلة) المحاطة منازلها (بسقيفة) مترامية الأطراف، واحدة تعقبها أخرى من أفواه وشفاه مخضّبة بالسواك، اختتمت بزغرودة أطول وأكثر رقة، صاحبتها ذات حنجرة شابة.
تقرفص (بالمربوعة) ومن حوله أخوته وأبناء عمومته مباركين وصول التوأم (أولياء العهد) على حد التعبير فأل حسن وسنة خير ابتدأت بتساقط الأمطار، والمواليد الذكور بقبيلة (الليّوث) فهم بحاجة إلى زيادة العدد (بيت رجال ولا بيت مال) أضيفت أسماء إلى سلالة (الليُّوث) العريقة.
اتكأ على الوسادة بعد إضافة وسادة أخرى معدلاً وضعيّة (الشنَّة الحمراء) وبعد مسح شاربه المشذّب، حلف اليمين المغلظة أن يذبح (قعود) مع الخراف التي ذُبحت، فهو شيخ القبيلة ولابد من تحسين الصورة.
قدمت (القصاعي) الكل في لهاث، وهو يختال بينهم بمشيته الطاووسية والنظرة الصّقرية تحيطه سُحب الفخر والخيلاء (استرونا مع العباد) ثم معقباً ثلاثة، ثلاثة فالملاعق محسوبة ثلاثة هو يعرف كنه اللعبة !،
ابتدأ النهش والتمزيق بقطع الهبَر المتورّمة وعزق لقم الأرز القصيّر المعصّفر داخل الأفواه مع التلوّك بصوت مسموع،
(السُّبوع) نساء القبيلة غاديَات رائحات، تهنئة الأم والحماة بنظرتهن المشوبة بالفخر (توأم) وذكور مدعاة للكبرياء (سالم وسليم) تهاني وعناق أنثوي طرقعة القبل المتبادلة، تأتي (قصاعي المثرودة) بالتمر واللوز والزّبيب المضغ بفكوكٍ أسنانها مهترئة، عصير التانج المحلى، مسح الأيدي بالمناديل المعطرة مع الحفاظ على الحنَّة الهندية، التجشؤ ثم أحاديث العصاري عن (سيرة العاشقين والمارقين)، قهوة وعبمبر، تختتم بزخات العطر، فواكه و(أكياس خلوط)، التبجيل لـ (سالم وسليم).
شبّا في كنف أمهما الحنون تكاد لا تطالهما أرض، من حضن إلى

حضن مناجاة ومناغاة في كل الوقت وكأنهما (بالعناية المركزة) حجاب لإبعاد السحر، ويخور لطرد العفاريت والمردة، الملابس مقلوبة خوفاً من العين، أدوية صناعتها من كافة الدول، مرت المرحلة بسلام خمسة سنوات (سالم وسليم) بالمدرسة ما يوازي تكلفة بنية تحتّية لمدينة افريقية من،. القطن الطبي والحليب البودري،

بالمدرسة كل شيء سهل، المدرس ابن الخالة والمدير العم والمدرسات أيضاً من أبناء العمومة أعلى الدرجات لـ (سالم وسليم).

الشهادة الإعدادية، امتياز مع مرتبة الشرف لكليهما،.

حلفت الأم (الليثيّة) اليمين المغلظة أن يتموّا دراستهم بالمعلمين،

عميد الكلية صديق العائلة ونسيب خالة عم جدهم في نفس الوقت والدكاترة الأجانب ينجح (سالم وسليم) حتى بجوال من الأرز القصيّر، أو تمرير توصيلة بالجمرك،.

ذبح قعود آخر بحفل التخرج (سالم وسليم) وعلى نفس المنوال مدير المدرسة – اتبع معهم بعد التعيين نظرية (بيّن وجهك) وقت زيارة أي لجنة ولا أحد يدري،.!!!

اشتركا في كل مشاجرات القبيلة كانا مثالاً في الفراسة واستعمال الحجر الصوّاني،.

انهالت النقود من بيع الأرض والماء ، !! وكأن السقيفة ميراث من السماء،

وفي يوم والدنيا تقلبّات، تشاور فالسيارة بحاجة لبطارية – غنغنة المحرّك ثم موته وصمته وانتظار أشعة الشمس أصبح شيء مستهجن بأبناء العمدة، لابد من النزول إلى المدينة،

أنزلهم أبن العم شرطي المرور بالقرب من مقر عمله أشار لتاكسي توقفت سيارة حديثة بها شاب سأل : أجاباه المدينة الصناعية !

صوت المذياع يعلن على عدد ضحايا غزة، طلبا منه بصوت آمر تخفيض المذياع،

سألاه عن قبيلته، نظر باستغراب ناحيتهم وقال : تسألاني عن القبيلة ؟ ألا

يهمكم وضع غزّة وهزيمة العرب وما نحن فيه من عار – يالجهل والعمى، !!

بحكم الذكورية والفحولة أجاباه بخشونة، حدثت مشادّة كلامية، عرفاه أنهما من قبيلة (الليوث) المشهورة بشراستها، أوقف السيارة بعصبية بعد آلم الصفعة !، عرّفهم انه من قبيلة (النمّور) المشهورة بفتكها، إلتقط كل منهما حجراً أصاباه نفس المكان تحت القلب مباشرة،

بالمركز الطبي، تقرير إصابة شديدة بالقلب لشاب إثر مشاجرة، رحل السائق المسكين عن دنيانا،

مرت سيارة الشرطة المحصّنة تحمل (القتلة) في طريقها إلى سجن الكويفية ببنغازي،

من الكوة الحديدية المشبكة، رأيا (أجبيلتهم) خاوية والدخان يتصاعد من السيارة المحروقة ومن بعض المنازل، والجرار (الجدع) الذي لم يحرث ولا مرة،

2009.01.11 ف

نكهة ليبية.

تقرفّصت بجانبه بعد إلقائها التحيّة باقتضاب،.!!
ردّ تحيتها ثم . زفر بصوت غير مسموع، ،.
تابعت مضغ علكتها من اللوبان ؛ مع نقل العلكة من يمين الفم إلى يساره، ،. تحرك الشفاه المخضّبة إثر السواك ؛ التلوّك مع الطرقعة بين الفينة والأخرى ؛ الأسنان على حالها رغم السنون فالأب قضى عمره راعي إبل،
وجه طولي بفكٍ علوي ممتد قليلا عن أخيه السفلي يميل إلى الاحمرار مع وجود وشم أخضر على الجبين على شكل الحرف الانجليزي دبليو وعلى الذقن ثلاث نقاط مائلة يسار الأنف الأقنى، بسبابة كفها مخضّب بالحنّاء اليمنية أشارت إليه، قالت :
(في الفرح حجّلت، مازلت في غنداقي عيّطن أمعاى كلهن، أسعدي موطايح إلاّ في هالخارب المتوارب، اللّي ميّة حاجة ناقصته) !!
مصمص بشفتيه آثار الشاي الأحمر، أشعل سيجارته العشرين، ابتلع ريقه متحمّلا لسع الإهانة فهي كعادتها لم تتغيّر، النكد زادها وزوادها وعلى رأي الجميع (لسانها متبرئ منها)
ردّ بلعثمة : (ديمه أتعيبي و أتعطّبي وأتشطّبي كان الله في عونك) !.
بصوت أجش يشبه الفحيح، وعيون متسعة الحدقة تستشيط حنقا وغيضا،
- (راجل آخر الزمان امغيرهو الاسم، زي قلتك)،
فهمّ ما ترمز إليه لم يعقب، فالفشل وخيم، والليالي تمر إحباطاً وآلماً !!
تمتم : يا الله،. هم التقاعد والقبيلة والمعاش والدواء والميّه والضيّ والوقت، أيش والا أيش خلاص الجمل هكع !،
وقفت بعصبية وهي تتأفف وضعت كلتا يديها على خاصرتها مع هز أسفل الجسم ناحية اليمين بطريقة راقصة منتظمة الإيقاع.

(مايلزمنيش ، ماملّي أيتمنى ويدق في الحنّة ، (مع طرشقة علكة اللويان بصوت أعلى نكاية بالخصم) هابه يرخص الحرير، نين ايربطّوا بيه الحمير)،
استدارت وقفلت عائدة مع مشية غنج ودلال يتماوج معها الرداء الوردي ذو الخطوط البيضاء تسارعت دقات قلبه، جف حلقه، حاول الوقوف معتمدا على يده اليمنى، فمعاناة ألم ظهره من آثار ركوب الأمواج والبحر لم تنفع معه الأدوية والوصفات !!
هز رأسه !! وفي حال نفسه :
بعد رفقة أربعين سنة عاالهم والغم مكتوب عليّ قلّة الراحة حتى في هالعمر، !
خرج بالرغم من رذاذ المطر، سمع صوت لغط بالشارع ، الجيران في جدال من يضّخ المياه لبيته ؟!
اشتد النقاش وقاربت الأيدي في المشاركة،
تدخّل، (وحّدوا الله، وحّدوا الله، عيب يا صالح، عيب يابوزيد، عيب ياعبدا لله أستحوا)،
جمعهم وأصلح ذات البين، انتهت بالتسامح والتعّوذ من الشيطان الرجيم عقب : ياللا كل واحد إلى حوشة،.!
تفرقوا احتراما له وتقديرا لمكانته وسنّه،.
قفل راجعا ضاغطا كفه أسفل عموده الفقري، توقف على ضوء عمود النور نظر إلى العمود بتمعّن، الليل في أولّه، المطر يهذل على ضوء القمر، اعتدل قال :
وهو يشير بسبابته إلى العمود وفي اعتقاده انه عبد الله جاره :
(عيب يا عبد الله، يا عبد الله عيب منك جارك،. النبي (ص) وصى على سابع جار، اللّيّ أيحمل مايندمش
كانت هي بالباب من بداية المشهد تتنصت وتشاهد ما يحدث متكئة بجسمها المكتنز مواصلة مضغ العلكة اللويّانية
و باستهزاء)

اللي أتسهرى فيه عمود الضى،. يامطيوح السعد ،.لم يرد، ابتلع ريقه مرّة أخرى لامناص، ولا أمل، زاوية الحلبة الضربات مميتة، الخوف من العاقبة ومن أن يسمع الجيران المشاجرة والألفاظ !،

دخل المربوعة يحمل ثقل جسده كبقايا جيش متقهقر خسر معركة ضارية وفي نفس المكان وعلى نفس (النطع الصوفي) اعتمد على يده اليسرى ثم اتكأ على الوسادة أشعل السيجارة الواحد والعشرون، أراد شايا، خاف من أن تأتي وتلقي موّشحها اليومي عن الشقاء والتعب وسوء الطالع.

تمدّد أكثر، نظر إلى تلفازه القديم. صديقه. قلّب المحطات، الكل سعيد. جذل. يرقص طربا، توّقف عند محطة يغني بها مطرب.تذّكر ذكراه معها وهو يمشي الهوينى أمام بيتها تبتسم له من فوق السطح وترمي له الرسائل الورديّة الولهة،.

تمتم في حال نفسه : لم أظن أنها شيطان في صورة إنسان !

ضحك على ما هو فيه، يعرف أن أقصى الألم دمار الذات،. شعر بالوهن والعجز، تذكر صديقه فرج الذي نصحه بالابتعاد أيام العطور واللوّعة، كرّر ضحكة الاستهزاء نفس الصديق هو من قال له يوم أمس بالذات : (يبدو أن الصقالة طايحة بيك).

أغمض عينيه بعد أن دب النعاس بهما،

حلم بحوريات تصفق أجنحتها البيضاء، وببحر متلاطم تلتهم الصخور البنّية التائة!!

استيقظ مفزوعا على صوت أحد أبنائه قال :

ماذا ؟ واصل الابن نداءه بصوت خافت : نريد أن نتعشّى أمي قالت أن تعطينا ثمن (حكة تن)

نفس المنوال فهي قد حلفت اليمين المغلّظة أن لا تنصب (حلّة) في اللّيل فهي تكره(التسواي) في الليل مثلها مثل أمها،.!! بصوت خافت رخيم قال : حتى صاحب المحل قال لي : راكم تبقوا حوت من كثرة اوكال التن

واللاّ تبقوا دجاج من اوكال الدحي،.! اخرج بضعة دينارات مبلّلة من جيبه،
سمعها في الداخل (نا تعشيت في الفرح وانتوا إنشاء اللّه ماتعشّيتوا)،
امتدت يده لرغيف التن، تلوكه بعجلة الجوع، أشعل السيجارة الثانية والعِشرون،
مجّات، أطفأها وأطفأ معها مصباح المربوعة،
شعر بالهدوء وسط الظلام الحالك،
تمتم : آه لو يبقى ديمه ليل !.
استسلم للنعاس وكرر، غدا يوم آخر.

****

في محراب الحب

رَنَاً خيالها إلى البعيد، نظرت نحو القمر المكتمل بإكليله الفضّي همست : يا رفيقي وأنيسي، أنر دربي وطريقي، وإن أنا، فاضت مآقيّ دمعاً، كن شاهداً أنني ذرفت دماً غير آبهة بسقمي، اعتدلت في جلستها، في وضع يمكنّها من العود وأوتاره، لمسَت أناملها الأوتار دفعة واحدة وبالأصابع الأربعة، علت دندنة رخيمة، ثم كل إصبع على حده !!!
وأنشأت تشدو:
يا منْ لَعبتُ بهِ شُمولهِ.. ما أطيبُ هذهِ الشمائلُ !!!

انسابت دمعةٌ لؤلؤية على الخدّ الرخامي، تكوّرت، اتّخذت سبيلها بجانب الشفاه المكتنزة الورديّة.
دلف مسرعاً قلقاً إلى الداخل بقامته الفارعة.
- بحق الله، دعيني أفكر، في حل المعضلة !.
نظرت تجاهه : كم تحبّه، سهادها، ألمها المضني، وانفطار قلبها المعطوب !.
- أنت من جعلته يأتي كل يوم حتى أن زوجته (زبيدة) عنفتّني وهدّدتني، آه، لو لم تُغنّ وتعزفي جيداً !.
ركز نظره تجاه وجهها القمري، أضاف ليته لم يرك، ولم يغرق في بحر عينيك، كما غرقت !،
الصبر يا عزيزتي، ضحكت :
- نعم هذا هو الحل !،
صفق الباب وفي الخارج حدّث نفسه : أ أضحي؟، بكل ما بنيته، أسرتي، عشيرتي، ضياعي، مكانتي، أكون غير عاقل لو فعلت !،
قابله الخادم جزعاً :

- سيدي، سيدي أمير المؤمنين في دارنا، انه يطلبك في الحال.
زّم شفتيه،عدّل من وضع عمامته المرصّعة، أسرع بخطواته لمقابلة أمير المؤمنين هارون الرشيد.
و بكلتى يديه أمسك اليد البيضاء الرطبة، قبّلها قريباً من فص الخاتم الذهبي.
- كم أنا سعيد يا مولاي أمير المؤمنين بتشريفك وحضورك القصر.
الأمير : أعدّ لي مجلساً، اشعر بضيق، الحال والأعمال كتمت أنفاسي، بحاجة لمنادمتك.
أنت خير معلم، وخير رفيق.
وضع المسبحة كبيرة الحبّات فوق العمامة بعد خلعها، جلس على الطنفسِ، الخدم من حوله.
- عقب، أين هي صانعة السعادة والهناء ؟! مغنيتنا، وشاعرتنا الحبيبة (دنانير) أريد أن أنصت إلى الطرب الذي يمسُّ شغاف الأفئدة.
- حالاً وتكون بين يديك، مولاي.
رجع يحي بن خالد البرمكي إلى حجرتها سميدعاً :
- أي دنانير، بحكم معزّتي، لا يستطع نطق يا (حبيبتي)، طيف زوجته الصعبة المراس، سليلة الحسب والنسب تحوم حوله، لو نطقها لفقد كل ما يملك، حتى حياته !، (لكنني، لكنني، اعشقه !،) الحب ضعف.
كما الحسن إذلالاً ما بعده إذلال !.
عادت بذاكرتها إلى الوراء، شهامته، ما فعله، اشتراها، في نفس اليوم اعتقها، خيّرها بين المكوث والرحيل، قررت المكوث، يوم مرضت، أتى بالأطباء، قرّروا، ألاّ تصوم شهر رمضان، لسقم معدتها، دفع عنها ثلاثين ألف دينار كفارّة الإفطار طيلة الشهر، عاشت في كنفه، أيام حنو ونعيم،. بعذابات هيامها أصبحت سهد وجحيم.
أصلحت من زينتها، احتضنت العود وبابتسامه عذبة طفولية، رحبت بالأمير وكل الحاضرين.
شَدَتْ، لحن جديد من صنعها، إلتمعت العيون بالنشوة والشهوة،. كلّ

سلو هجيرها، واصطلاء نارها عبرت عنه الأوتار، وقف من سمع حتى اليمام والنيّام، هلل هارون الرشيد، قبّل وجنتيها ويديها ومن بعده إبراهيم الموصلي وإسحاق، أشهر أهل الفن قاطبة، رجع كل إلى مجلسه.
همس الموصلي في أذن الرشيد :
(لحن كالذهب المصفى أقول يا سيدي أمير المؤمنين متى فقدتني، ودنانير باقية فما فقدتني !.)
نظرت نحوهم عاودها انفطار قلبها، فالحب بعيد والأمل بعيد.. ابعد من بلاد الصين، رسمت ابتسامه، بانت غمازتاها مع خال صفحة خدها، كنقطة عنبر في صحن مرمر.
اليوم التالي استيقظ البرمكي مع شروق الشمس، تلكأ في مخدعه وضع يديه على رأسه ضاغطاً، يريد منع سحابه الصداع.
مرّ بمخدعها، وجدها مستيقظة ساهمة، ابتسم : ما بك عزيزتي ؟!
سيدي (يحي) اشعر بكآبة، بالله عليك ألا تغادر، رأيت كابوساً !،
عاود الابتسام مستخفاً :
- انه اجتماع مهم بأمير المؤمنين يا عزيزتي !.
نظرت وراءه يغادر عتبات القصر، ازداد انقباض قلبها، زاده نعيق غراب يطارد غراباً آخر !.
لا تعرف كم مرّ من الوقت، نبهتها طرقات الباب المتتالية، الخادمة :
- سيدتي دنانير، سيدتي دنانير، ذُبحَ كل البرامكة، ذبحهم أمير المؤمنين !.
سقطت مغشياً عليها !، أيام وهي تهذي باسمه ليلاً ونهاراً.
مع الوقت انحسرت الحمى، أصبحت رهينة الفاجعة، شهور أنيسها اللحّن، والوتر.
والحزن، نظرت نحو القمر المكّلل.
تمتمت : اقسم ألا أمسّ عوداً ما حييت !، وا، لتقبرُ أيها القلب المعطوب السيئ الطالع !!.
ليلة دعاها الرشيد للغناء، بكبرياء رفضت !، أخذوها عنوةً، وقفت

أمامه : أحسست أن لا شيء بالدنيا تخسره !، قالت : أمير المؤمنين لن اغني ما حييت بعد موت سيدي يحي !.
عضّ على نواجذه، صفعة أولى ألحقها بأخرى، سموم الفتنة تسري في دمه، اكرهها على العزف، أجهشت وناحت بقلبها الكسير.

يا دار سلمى بنازح السند،. بين الثنايا ومسقط اللبد
لم رأيت الديار قد دُرست،. أيقنت أن النعيم لم يعد

من يومها لم يضايقها هارون الرشيد أمر برعايتها ما عاشت !.

رفضت الزواج بعد نكبة البرامكة إلى أن وافاها الأجل.
لم تكتف بالتغني والعزف، سمت إلى مقام التأليف والتصنيف.
جمعت خلاصة الأغاني من أساتذتها أعلام العصر : إبراهيم الموصلي وإسحاق.
للأسف ضاع هذا الأثر الفني (دنانير ثروة وكنز).

الجبلي

صداقتي لبوزيد غريبة، أصبحت كالإدمان، كأنني منجذب إلى أسطوري بالغابات المطيرة، حياة مفعمة في بوتقة عجيبة

الرابطة رفقة قديمة، أعرف بوادر أي تصرّف وتكهّن نتيجته، بدائي (كأوركا)1 وحضاري كحمل وديع،

اللقاء بالعصاري، نحتسي الشاي وهو بيننا، مستعد دائماً، انتهازي، وفي يوم دخل اثنان الورشة، سلام، جلسوا.

استلم كل منهم طاسه شاي، وجه احدهم حديثه نحو بوزيد مشيراً إلى رفيقه،

ابن عمّي من الجبل الأخضر، يبحث عن عمل، وسكن، لديه خبرة بالسيارات، نظرت نحوه، من خلال شحوبه ومسحة الحزن تشع عيناه ببريق نقاء السريرة والطيب،

- بوزيد : (أوصلت، هذه حجرة كل شيء فيها، وهذه سيارات عاطلة، عريّ على ذراعك)،

لمعت من العينين الحزينتين فرحة !،

أعرف بوزيد، حكمته (ما تعطي بلاش غير العقرب)

أيام، بوزيد يحمل طعاماً من المطعم المجاور (للجبلي) هذا اللقب أطلقناه عليه، استلم العمل يكدح، يتصبّب عرقاً، عادت الضحكة إلى ثغره ممزوجة ببعض الألم !!،

اليوم الثالث توقف عن العمل، لم أفهم، لم يتضايق لطيبة قلبه بالرغم من مناكدتنا، يقول :

مثل بوزيد ما فيه !، كان له الأب والقدوة،

برّر بوزيد، بكساد الورشة، وانه خطّط لشراء تاكسي للجبلي !،

عرّفنا (الجبلي)، سبب رحيله عن عشيرته حبه لفتاة، حجّرها ابن عمها، كان غاية في الرفقة الممتعة.

يطلب منه بوزيد الغناء يبدأ (ايطوين)2 على رأيه، ننسى، نصفّق، منّا من يسجّل،
استضفناه، كنّا له أسرة، وضّح انه اشتغل بكسارة (محجر) سنوات تحصّل على ثروة،
ذات يوم وجدناه ينظف سيارة موديل قديم، استقبلنا وبيده منشفة،
(باركولي، باركو ليّ، الجبلي أشترى سيارة، أخي بوزيد اختارها).
فوجئنا، مستهلكة تلفظ أنفاسها، بدأ عمله كسائق تاكسي،
نراه لماماً، سعيد يتلفظ بالحمد لله دائماً اليوم (خمسة عشرة) دينار.
كثرت أعطالها، نسأله يقول : الحمد لله، تصليح سيارة بالنهار و(طوينه) بالليل، وين ما ناظن بكن !. وفي يوم آخر
بوزيد : اسمعوني، سيارة الجبلي غير صالحة، رجله ثقيلة على دوّاسة البنزين، اشتريتها منه بمائة دينار، وأنا بعد يومين مسافر لمصر، ترافقوا أخوة وتحاسبوا تجار !، هكذا يقول جدي وأبي.
يا أجبلي : (كلينا عيش وملح مع بعضنا)، ثمّ اخرج ورقة متسخة مليئة بالأرقام، بها كل ما أكله (الجبلي) وشربه.
وما أستعمله، وقطع غيار السيارة الجاثمة خارج الورشة بلا روح،
اتضح ان الجبلي مدان لبوزيد يألف وخمسمائة دينار، مدّ النقود بصمت إلى بوزيد بعد عدها، وخرج يحمل صرّة ملابسه
قلنا ألف وخمسمائة دينار، وسيارة خردة، في أربع شهور، صفقة !.

أوركا : حوت قاتل يخاف منه حتى القرش.
ايطوين : يغني بالغناء الشعبي (العلم).

آدميوّن ..نختلف عن الكائنات بالنبل والشرف والامانة.
آدميوّن.. منا من يختلف عن الكائنات بالنفاق.
لا كائن غير ناطق يداهن كائن آخر !..
المؤلف،،،

الذئب

طرقٌ متواصلٌ بالباب، توقفّت عن الشّرح !، وضعت الطّباشير، فتحت، عمّ خليل، تفضّل،
(بلثّاميته)❖ التي عمرها من عمر بناء المدرسة، دائماً يقول عنها أصليّة، صوف مائة في المائة، انجليزّية الصنع !،
- أستاذ فهيم، المدير يطلبك، لملمت أوراقي، الفرحة في عيون الطلبة، المدير لوحده يتفحّص ملف، عدّل نظّارته.
- يا أستاذ فهيم، الموضوع ذو أهميّة، سيحضره جمعٌ من مسؤولي التعليم على رأسهم (أمين التعليم)، بحثك يبدو لي جيّداً، أنت مستعدٌ لمناقشته ؟!،
- نعم، سأكون عند حسن ظن الجميع.
- أعطني فكرة أتمكن من تقديمك أمام ناقل الصوت،
بدأت أسلسل أفكاري، ألقيها تباعاً، تدنّي التعليم (عنوان بحثي) مسببّاته، الحلول المناط بهاء المادة والمنهج، طرق التدريس، دور التفتيش التربوي،
وفجأة دخل علينا حليق الذّقن، الخيلاء بعينيه، يتبختر كطاووس، أستأذن بالطريقة (البوذيّة)❖، أشار له المدير بالجلوس.
- أكمل يا أستاذ فهيم، الطالب يحتاج إلى، وبدون سابق إنذار، قاطعني،
- يا سيادة المدير جهزّت ورقة عمل، الموضوع يريد حلول، مثال، بدلاً من طرد الطالب يوم واحد نطرده ثلاثة أيام، عقوبة، وبدون استدعاء ولي

الأمر، ولي الأمر يسبب لنا الإزعاج،
يدي لازالت عالقة بالهواء، وفمي مفتوحاً بعد خروج آخر كلمة، بدأت الإنصات.
- حضرة المدير، سيادتك لابد أن تلقي هذا البحث، لخبرتك ولجدارتك بصراحة.
أنت أفضل من يلقي في مثل هذه المسائل التعليمية، وبصراحة أكثر، هيبتك وهندامك وعطرك.
ليلة أمس في مناسبة عرس، الجميع أثنوا عليك، وعلى نظام مدرستك، وأعمالك الخيرية.
الكل قال انك تستحق أن تكون أميناً للتعليم.
شعرت بالخجل، معقول، لهذه الدرجة، هذا تشابه آدمي، كلبي.
تخيلته كلباً سميناً بذيل صوفي، يقدم الولاء لسيّده.
مثل هذا هم من يصفقوّن، يتحمّلون لذع الجمر لتقديم الشواء للمسئولين.
ماذا افعل ؟!، عندي رغبة للمساهمة، الموضوع هام يخص أبنائنا وطلابنا.
ردّ المدير باسماً، سيلقيه فهيم هو من كتبه وأعدّه.
نظر ناحيتي برأسه الكبيرة، تغيرّت ملامحه من التسوّل إلى التعالي، استغربت أكثر، فهو صديق ومنافس في كرة تنس الطاولة، ماذا حدث له ؟؟، هل هي (شيزوفرانيا)❖ ؟!. أشار إليّ :
صوت فهيم مبحوح وغير واضح، بصراحة ليس في مثل أناقتك يا حضرة المدير.
لم أتمالك نفسي، قلت :
يا حضرة المدير هذه هي الديباجة، حفظتها عن ظهر قلب، بدلتي بالمغسلة وسألمع حذائي وافرك اسناني واشتري عطراً !.
فطنت أنني في دائرته، أدور في الظلام، تُقهقه من حولي شياطين، تهمس :
مرحباً، حال الدنيا الآن، ما الجدوى من الشرف والنبل، انظر ما أنت فيه أيها الأحمق.

الكرة الأرضية لا تملك منها شبر، نقود آلكالم رصيدك صفر، مدان ‎!،
إناث الكون لا واحدة.
ملاك أبيض وسط السحاب، ‎!،‏ تمتلك الأمانة والسيرة الحسنة.
ماردٌ بعينين حمراوين، : هه، هراء، وكلام فاضي، ضحكٌ على الذقون، انضمّ إلينا وإليهم.
ستُقبل عليك الدنيا، وتُصبح ذا جاه، وتصير سميناً مثلِ عجل مزرعة.
على حين غرة، نبت لي ذيل صوفيٍ كعكي أطول ومنقط، واصل الهمس الشيطاني، ترتدي جورب مقطوع.
بدلة واحدة، حذاء عمره ثلاث سنين، حجرتك المظلمة، تتنظرك بها علب السردين.
أحد المترفين علّق : (قاربت تصير حوته من كثرة أكل السردين)، صحوت من حلمي.
- يا سيادة المدير، أهل أنت لإلقاء البحث، صدق الأستاذ صابر ‎!،
تفضّل الديباجة وألحقتها بتحية (تبتية)* حتى التصق أنفي بالأرض.

****

(لثاميته)* : توضع حول العنق.
(البـوذيّة)* : عقيدة بجنوب شرق آسيا.
(شيزوفرانيا)* : انفصام الشخصية.
(تبتيّة)* : نسبة إلى التبت بآسيا.

2009.05.07 ف

أنت لا تستطع أن تقهر الموت !..
ولكنك تستطيع أن تقهر خوفك منه !!..
نيكوس كازانتزاكيس،
كاتب يوناني

الجواد

(سيدي، سيدي، الشيشلياني !، جا، جانا الشيشلياني)، هكذا نادى الصبي وهو يشير ناحية الأفق، راكضاً، مذعوراً، تلقف الأب الصبي، قبض على عصا (المسحه) المعروفة بعصبية، ثم شدّ على كتفَ الصبي المرتعشة محاولاً طمأنته،

أدخله الدار، بالدار تلملمت كومة اللحم، وسط (السقيفة) المسقوفة بسعف النخيل، تتصتوّا لوقع خطوات حذاءه الثقيل، مع صهيل الجواد، وقف بباب الدار بندقيته الطويلة على كتفه، ، مسح جبهته بطرف كمّه المتسخ، بسخرية وبلهجةٍ آمره : (ابري براتي البرانسو الفريتا سوماري) !، بكلتَي يديه أمسك عصا (المسحه) بغضب وجرأة، نحو عدوّ دينه، رفع هامته كصقر يدافع عن فراخه، (عيشة البني أدم وقفة عز، والموت، موت وحده) أحسّ (الشيشيليانوا) بالخوف لحظة ُثم تذكّر أن (الجندرمه) قادمون وراءه، تمالك نفسه، ليعيد هيبته، وبصوتٍ افتعل عنجهيته : (سوّتو الميّو اوردني)

تشبّث الصبي برداء أمّه، الصامتة، التي أخفت منجلاً بين طيّات الرداء (بوخمسة وأثنين) وفي حال نفسها (النار ولا العار) وعلى حين غرّة نحت زوجها، وقفت أمامه، غير آبهة وكأن روح دخلت جسدها، غير روحها الوادعة، وبلمح البصر أخرجت المنجل المسنّن وبصوتٍ ينمّ على الصّلابة :

(اهو، يا نصراني، يا كافر، يا عدو الله)!، اندحر الشيشليانو خطوة إلى الوراء متكئاً على زير المياه بثقل جسده المترهّل، همس في نفسه : فأسٌ ومنجل وإرادة قويّة، فكر لو قتلت الرجل، لذبحتني المرأة الجسورة بالمنجل، ولو أطلقت رصاصة في قلب المرأة لفلقت المسحه جمجمتي، أوه ماريا،

فضّل خيار الخسارة، الحياة أفضل من العدم، شتم وهو خارج بكل ألفاظه السوقية الشيشليانية، توالى صهيل الجواد، بصعوبة استجاب (الملجّم) للامتطاء، طأطأ رأسه، حتى أن التراب عبق من زفير أنفاسه،

ذهلَ الشيشليانوا من هول ما رأى، حدّث نفسه : (فشلت) !، حلمتُ بالقوت والمتعة حتى أن (فاشكو) النبيذ الصّقلي المعتّق معي، حتى انت يا حصان السوء،

سار، متفادياً شجيرات المثنان، شعر بالغثيان، وأنه يريد أن يتقيأ، نزل من على صهوة الجواد، اتّكأ على صخرة، تجشّأ بقايا زلال ولبن حامض، سمع صوتاً بدأ خافتاً ثم علا، فحيح !، أعقبته عضّة، صرخ !، تدلّت أفعى صغيرة الحجم سوداء من ظهر يده، رماها أرضاً بقوة، ركض وراؤها، محاولاً أن يدوسها بحذاءه ، دخلت أكمّة عشبيّة، ربط ذراعه من أعلى باللجام، مع حركة الجواد لم يهنأ، نزع قميصه، مزّقه، تفصّد عرّقاً من كل مسام جسمه، خلع كل ملابسه، شعر بالوهن والضعف، تمدد بظل الصخرة، ما حوله يدور كطاحون، سعل بقوة، سال لعابه، الدار عن بعد،، المرأة، الصبي، المسحة تنغرز في التراب الأحمر مرة بعد أخرى،

صهل الجواد، ثم نظرَ نحو الشيشليانو، غير مبال، وانطلق في البريّة المعشوشبة،

نزلت قطرات مياه كأنها الندى، على صفحة وجهه الرومي المنمّش، بدأت بطيئة متقطعة ثم تواصلت، اشتمّ رائحة الثرى،

صوت من بعيد، الحمد لله !، لوحة ضبابية من خلال الغشاوة، الفلاح ملتحم بأسرته، ذراعاه نحو السماء، مبللاً ورجلاه العجفاوين وسط

الغدير، استمر المطر بالانهمار،

تعاقبت الأيام، تلتها شهور، لاحظ كل من مرّ بالقرب من المكان أن الصّخرة يحيط بها نبات الإكليل والقميلة من كل جانب حتى قارب أن يواريها !!

=+=+=+=+=+=+=+=+=+=

شيشيليا : جزيرة صقلية بايطاليا أتى منها عسكر الاحتلال الأجلاف.

ايري براتي البرانسو الفريتا سوماري : أسرعوا بتجهيز مائدة، أيها الرعاع.

الجندرمة : فصيل من جنود الاحتلال الإيطالي.

سوتـــو المـــيـــو اوردنـــــي : اخضعوا لأوامري حالاً.

فاشكو : من الخشب يحفظ به النبيذ المعتق.

السقيفة : ساحة البيت البدوي.

بعد هذه الأحداث السابقة بمدة أتى فصيل الجندرمة بحثا عن الجندي المفقود فلم يجدوه فقاموا بإعدام الأسرة.

قصة أغلب أحداثها واقعية سنة 1923 ف بمنطقة (كمبوت الساحلية) والتي تبعد عن مدينة طبرق بمسافة 60 كيلو متر شرقا.

تم التنكيل بهذه الأسرة ومثلّ بجثة الشهيدة (مبروكة مصطفى) ببقر بطنها وهي حامل بينما الزوج الشهيد (سعيد سعيد جلغاف) والإبنة (أعزيزة حكيم شعيب) اعدم رميا بالرصاص، قبورهم شواهد بـ (ارقبة القصير) على ساحل البحر ((الفاتحة لأرواحهم)).

حُقَّ الطِيْوبُ

أيّام أتذكّرها وكأنها السّاعة، ينتابني الجذلُ، هُنيهة أتحسّر على أيام حلوه،
دار (الصُّندق) بلوحتها الجدارية (جمل مرقّط بالأحمر) تعليق أبي عليه : هذا الجمل يمكن أبوه نمر !!
سياج الزنك (حلاقي) ملحق (بيرّاكتين) من الداخل مغطاة بالخيش المطليّ بالجير، لابعاد البقّ، البراغيث والعقارب !!
داخل السياج أكوام جذور يابسة بالقرب منها (تنوّر الطفلة) و(مناصب متفحّمة) شجــرة لـوز تضلل البراكتين زرعها جدّي !!
(البعالي) محروثة على طول النظر، جهد الحمار الرابض، خضروات، بطيخ، شمام، فقوس، قرعة، نبيع ونأكل ونحمد الله.
ماعزنا يتقافز (بالباطن) وبالسّفح، الضأن متنعمّة.
أقطَع السقيفة، ركضًا، عالم يملؤني سحرا، من صيد العصافير بالفخ و(النشابة) إلى مطاردة (اليرابيع) الشهية الطعم بالشبكة و(المشلاط) وقنص طيور (القاليل) (بالميوح).
تحيط بي أيدٍ حانية،. والدتي المبتسمة الصامتة،. والدي المرح المتفصّد عرقاً، ما حولي نحيف وأسمر بفعل لفح. الشمس وتناول دشيشة الشعير والقمح، (القليّة) بربّ التمر البيتي. و(الكشك) ، مشروبنا اللبن الحامض المخوض.
قبل المغيب والأفق أحمر، اللهب في التنّور يتراقص، يخبو، يتنقل (الميحراك) بين جمرهِ، تبدأ الليبيّة بنقل أقراص العجين المخمّر من كفّ إلى أخرى، بصبر، إلصاقه بجوانب التنوّر مع رش المياه، زفيرها متقطع كفعل غريزي لخفض الحرارة ثم :
(خذ قنّانك وأبعد عن الدّيك، الله أيريحك، معاش نلقوا في دحي)!!.
القنّان السّاخن أضعه على (صفاة) أشقه، أضع العصافير المستوية شيّا

في داخله، يختلط الرماد بالدّهن.
يتصاعد بخار، أنفخ، أتلوّك مستمتعاً، أمي تناديني : أشعل الفنار، وقبل ما تشعله امسح (المرشة) .
يوم الجمعة، رائحة صابون الفنيك، الملابس البيضاء النظيفة، وأمي ممسكة برأس خروف تزيل صوفه على لهب الحطب !!.
نرجع من مسجد القرية سيراً على الأقدام، . بالسقيفة نجتمع أنا وأخواتي حلقة حول أبي يلقي أشعاراً !!
الأيّام كيف الريّح في الدرجاحـــــة،. مرّة شقا الخاطر ومـــرّة راحـــة،.
يـــــــردحن ويميـــــــلن،. ويديرن حوايـــج ما عليك ايخيلن،
ويحطن احواهن عا القوي وايشيلـن،. وايجيبن العالي في الوطى مطراحه،.
متى يحضر الأرز المغطّى بالخضروات والبقول (المبوّخ) مع لحمة الرأس ؟، نصيبي (أذن)، أتتذكر أبي يقول ضاحكا (محمد، هذا أكول ما أبيان عليه، كأن بيطنه دود الدنيا) !!.
حلمي تذوّق لحمة (الحنك) بنصف اللّسان، المحظورة، فهي لأبي والأخرى لأمي، يدخل الدّيك المتبّختر بالسّقيفة يتقافز محدثاً كأكأة تثيرني، كم أكرهه !! له جناحان كبيران ولا يطير، ركضت وراءه، طار، هبط لاهثاً، فضّل المراوغة والركض، قلت أنت لا تستحق الجناحان، عشّ مع الفئران والكلاب.
سمعت صوتا ينادي: يا ولد !!. رجلٌ مهيب ضخم، يلبس جرداً أبيض وفرملة، شنّة حمراء.
نظيف، عِطرُه أخّاذ !!.
وضع كفي الصغيرة داخل أصابعه المشعرة، نظرت إلى أعلى، شعرت أنني صغير، صغيرا جدا، كم أتمنى أن اكبر مثله. ويكون لي شارب، وحصان وبندقيّة، أحرّر فلسطين التي حدثّنا عنها المدرّس.
جلس بالسقيفة، هات يا ولد !! بيش يغسل سيدك.سليمان.

قُدّمت القصعة، تمدّد (حنكان) بوسط الأرز، عرفت إنني ضحيّة، وعلى حين غرّة.

خطفت الحِناك من أمامه، ساقي للريح سبقت الكلاب النابحة، أنفاس تلهثُ ورائي.

يدٌ غليظة أطبقت على رقبتي، ارتفعت عن الأرض، خُطواتي الأخيرة بالهواء : هات يابو (العصاكيل) ، يده الأخرى نهبت الحنك، كان الشيخ جرده ممتد من باب الدار إلى مكان اقتناصي !!.

الصُّندق :دار تبنى بصناديق عسكر الحلفاء.
حلاقي : سور البيت.
بيرّاكتين : مفردها براكة وهي دار من الزنك.
تنوّر الطفلة : فرن الخبز الليبي.
مناصب متفحّمة : وهي الاثافي الثلاثة التي يطهى فوقها الطعام.
البعالي : جمع ابعلي، قطعة صغير من الأرض تزرع بها الفواكه والخضروات.
بالباطن : أعلى التل.
النشابة : تصنع من سيور مطاطية.
اليرابيع : جمع يربوع وهو من فصيلة الكنغارو صغير الحجم.
المشلاط : عصا مرنة من فرع نبتة المثنان.
القاليل: نوع من الطيور الصحراوية.
الميوح : أحجار توضع لتغيير مسار الطير ليقع في الشبكة.
القلية : قمح محمّص.
الكشك : لبن حامض مجفف.
المحراك : قطعة من الخشب لتحريك النار بداخل التنور.
قنان : رغيف صغير لتدليل الاطفال.
صفاة : حجر مستوي مع الارض.
المرشة : زجاجة المصباح.
قناة- شاعر معروف بحكمته ضريحه بـ (زيغن) جنوب ليبيا.
المبوّغ : أرز يماثل الكسكسي في الطهي.
العصاكيل : نحافة الرجلين.

2009 /5 /4

إنّها تعْرِف

إنها تعرف أن الإنسان مؤذٍ لها وعدوّها اللّدود بعد القنفذ والحرباء والصل الملك، ومن الممكن أن يُقضي على سلالتها، ومن أجل البقاء وخوفها الدائم، فهي تعيش في الظلام ودهاليز الكهوف بمنأىً عن تجمعات البشر لفتراتٍ طويلة !!!

ومع السنين تطوّرت لديها أجهزة كثيرة، من بينها جهاز التنصّت، عن طريق حلزنة بطنها، فهي تَسمع خُطوات الطير على بعد عشرات الأمتار، وللاختفاء الطويل البائس، طوّرت بقدرة الله تخزين الغذاء والماء !!

فها هي،. تبدأ هجوماً ليلياً على الدواجن،. فهي تعرف أن وقت السَّحر مناسب لازدراد أكبر كمية من البيض، هي تعرف بالسّليقة فائدته الغذائية طويلة الأمد، تحمله في جوفها، لا يتكسّر بحركتها الأفعوانية البطيئة !!

تدخل الكهف المظلم ثانيةً بمعدةٍ مليئة، تمكث مدة أطول، كلما قَرَصَها الجوع كسرت أولى البيضات بعصر عضلات بطنها الجرابي الممدّد، تمتصّ بروتين، زلال، ماء، وكلس، بقيّة البيض يصطف في انتظار داخل الجسم الثعباني. ريثما يأتي دورها واحدة أثر أخرى، عبر تجاويف حلزونية مرنة لازالت تكفي لتخزين أي فريسة تعيسة الحظ، فأر، جرذ، ضفدعة، فتطول فترة الاحتجاب لأيام أُخَر !!!

عند السّطو على البيض قبيل الفجر، هي تعرف، أن حاضنة البيض الدّاجنة، عند العنف والعراك و الزعيق و الكأكأة، ينتبه عدوّها الأزلي، لذا فهي تبادل الكأكأة بهسيس، عبر تواطؤ يتبعه إتفاق سري تحت جنح الظلام،.

حياة الزاعقة مقابل البيض،. وقوفٌ ببطءٍ يتبعه تقدّم واثق، تراجع صامت وتخلٍّ تام،. العرض مغرٍي، هي تعرف، أن ابتلاع البائضة صعب و مملّ،

وقد يستغرق حتى بزوغ أكثر من خيط من خيوط شمس النهار، كما أنه منهك ومثقل لحركتها، إنه جزء من سيناريو لحياة كائن الكوبرا (بو امغرف)، ظلام أزلي دامس، يوم بيوم، شهر بشهر، سنة بسنة، بعد أن كان هو ومن على شاكلته طليقا في البراري، يتنسم رذاذ الحرية بعيداً عن سجون البشر.

****

رحلة إلي طرابلس

بالقرب من السائق وتحديدا خلفه مباشرة رميت بثقلي على مقعد الحافلة!!!
بالمرآة انعكست صورة وجهه الطولي ذي اللحية غير المشذّبة، مُسهد وكأنه لم ينم طوال حياته، تلاقت نظراتنا،. شعرت نحوه بعدم ارتياح، بادلني الشعور، (النفس الإنسانية غريبة ومعقّدة التركيب) بآليّة تعوّد عليها. تحركت الحافلة من طبرق متجهة إلى طرابلس، الطريق الصحراوي، ران صمت عميق، إلا من بعض الأحاديث الخافتة. شغلت نفسي بتصفح مجلة، ثم قررت أن أراقب سلوكيات السائق لأعرف كنه النفور الذي حدث ما بيننا. تواصلت الرحلة،. أشعل سيجارته الأولى.. سحب منها نفسا عميقا !!
التسجيل يصدح بأغاني بدوية (غناوي علم) تحكي عن (المرهون) الذي طيّش العقول وأذاب الأكباد،ويتردد طلبت منه تخفيض صوت التسجيل قليلا،. رفع رأسه ناحية المرآة تلاقت نظراتنا مرة أخرى، وبعينين حمراوين يشع منهما بريق التحدي، وعدم الإتفاق !!!
قال : (بلاش منّه، أنطفوه عِلشان حضرتك)، ابتلعت ريقي على مضض.!! تعبيرا عن غضبه زاد من سرعة الحافلة، ومن (ترمس) سكب شايا، يد بها كوب الشاي، والأخرى ممسكة بمقود الحافلة، انحرفت الحافلة بعض الشئ عن المسار، اهتز كوب الشاي، اندلق على ملابسه، بصعوبة استرجع سيطرته على الحافلة !!
هذه المرّة تحدثّ بصوت مسموع قائلا : (واو،عيونهم نار أتكسّر الحيط) في نفس الوقت صوت قرقعة في الخلف، راكب فتح كوة السطح متخلصا من دخان السجائر، وبدون أن يلتفت !!!

(يا زعيم ياللّي بالخلف بشويش، مش حافلة بوك يابلوى، .!).
في حال نفسي، عدواني لديه غضب مكبوت !!!!
بأنامل مرتعشة، أشعل سيجارته الثانية، واصلت التشاور مع نفسي، ويحكم مهنتي : (انه يدمّر نفسه)، استمر الصمت، الركاب مابين مستيقظ ونائم، سرعة الحافلة في ازدياد، أشحت بوجهي ناحية الصحراء المترامية غير مبالٍ كالآخرين ، نمت وصحوت كانت الواحدة ظهرا، من السابعة والنصف صباحا إلى الواحدة، بدون توقف !!!
أطلت النظر إلى مرآة الحافلة، انتبه إلى أنني انظر إليه!!!
ودون أن يلتفت للخلف : أنت، أشار اتجاهي بحركة من رأسه، قلت : أنا؟؟ (أيوه أنت يا زعيم، من بدري وأنت أتخزّر ؟) فوجئت تمالكت نفسي !!
: (يا راجل لا انتخزّر ولا يحزنون) !!
: (عليك أشكال غلط !!).
: (احترم نفسك !!).
ضغط على الفرامل بقوّة، أصدرت الإطارات صوتا يشبه العواء، مما أدى إلى ارتطام الركاب بالمقاعد، ووقوع بعض الحقائب من أعلى فوق رؤوسهم !!!
: (توّا أنورّيك) !!
وبالغريزة، وقفت في مواجهته، تفاديت لكمته المتوقّعة، اشتبكت معه، تدخّل بعض الركاب لفك النزاع، أزاحوا كلا منا في جهة !!
خرجت عن طوري ، لا ادري إلا وأنا أصيح : (من الصبح ونحنا كي عويل المدارس تحت رحمتك، يا بطل، شيّاب وعجائز، مرضى، لا أوكال ولا شرب، حتى ايتخففوا ما فكرتش فيها ، انت موش بني آدم)، خلال النقاش تسلّل معظم الركاب لقضاء حاجتهم بالبرّية،. رجعوا وواصلوا

المشاهدة أحيانا يشتد النقاش، أنت غلطان، لا هو غلطان، ثم هدأت الأمور بعض الشيء !!

أحد كبار السن سحبني من يدي !! :

(وسعة البال أهداية، اللي أيحمل ما يندمش، واللي أتريد منه بصيرة قوله يا سيدي توّا لنا ساعة متعطلين، ورانا أشغال قيسك ولد حرام، وحتى نحنا ضنا حرام اللي جينا أصدافك) !!!.

2009/01/14 ف

الجرس

بطن من بطون قبائل (الأمازون)، تقطن كهوف بمحاذاة (أيك) مترامي على امتداد السفح والوادي !،
يعيش على الصيد بالركض والمطاردة والنشّاب، لحم وجلود،. قطف ثمار ما تجود به أشجار المانغروف ، والمانجو الاستوائية ونباتات الأيك الأرضية،
ذات صباح، أحد أفراد القبيلة اختبأ (بأكَمة) منتظراً مرور حيوان يكون فريسته وغذاء لمن حوله !،
شعر بجسم بارد تحت موطأ قدمه، ألتقطه، جسماً معدنياً برّاقاً، يعكس أشعة الشمس الحاضرة الغائبة،
نظر إليه باستغراب،. وبعفويّة حرّكه، أصدر رنيناً عالياً، خاف، رماه من يده، خيّم الصمت ثم حمله بحذر، حرّكه مرّة أخرى، أعجبته النغمة النحاسية، لفه في جرابه الجلدي، كل من في القبيلة أعجبه الشكل والصوت واللون،
اجتمعوا وليلا رقصوا على إيقاع الرنين، مع لهيب النار المتراقص، ادخل السعادة بالقبيلة!،
أيام و (ريهو) يعلقه بجرابه لإغواء العذارى، تعلم الغناء بمصاحبة حركة الرنين النحاسية، غنّى لكل أعيان القبيلة، كسب تينا، وجوزا، وقرودا مسلوخة، وحتى جلد بيزون وريش نعام !،
استمر الحال، دارت الدنيا التي دوام حالها من المحال، ليلة مظلمة صدى تكسّر فروع أغصان الأشجار، بطن آخر من اكلي لحوم البشر،
تنبّه الحارس الليلي، بسرعة أختبأوا بكهف، واسع مظلم، نساء وأطفال

وشيوخ، فهم لايجيدون الحرب،
داخل الكهف،. وفي الظلام تداولوا الهمس، والهسهسة، بحث قصاصي الأثر عنهم طوال الليل البهيم بعد يأس!، قرروا النكوص وعلى حين غرّة، سمعوا ورائهم رنين متتالي !، تأهبوا، دخلوا الكهف المظلم.

طبرق/ الجمعة/ 2009/04/24 ف

طبرق / في ذكرى المرحوم عبدالله العوامي ،،،

عبدالله

في الخضم و في الزّحام تتضارب الصّور، وما يبقى في الذاكرة يبقى، ا
و ما يطويه الزّمن يدخل في طي النسيان !!!
رحلة نحن ركابها، من يقع عليه الاختيار يغادر في المحطة التالية بأحلامه، ،. وآماله، ، وحبّه،. وكرهه، ثم جسده الفاني، فقاعات صابونية عمرها أقصر من غرورنا.
علا حفيف الريح مع إنزالي لزجاج السيارة، لفحة الهواء البارد الصباحي أنعشت ذكريات، و ذكريات، مع صوت القارئ عبد الباسط عبد الصمد في المذياع !!!.
أوقف السائق السيارة، أمام المبنى بالمركز الطبي، نزلت بسرعة فالبرد عدوي اللدود، استقبلني سعيد بابتسامته المشرقة كالمعتاد :
- أهلا دكتور،. الحمد لله على السلامة،. ثم صاح منادياً : (منعم)،. (منعم) لقد وصل الدكتور !!
خرج منعم من المكتب، حاملاً أوراقا بيده، ولحيته الكثّة التي هى دائما محل تعليقي عليه !!!
- ماذا حدث يا أبو لحية ؟ حالة قتل مرة أخرى ؟ قبائل متنازعة ماذا يجري بهذه المدينة ؟؟؟ أهي لعنة مثل لعنة الفراعنة ؟ شباب يضيع لأسباب تافهة، هذه رابع حالة في أسبوع واحد !!!
- لا يا دكتور ليست معركة هذه المرّة،. لكنها وفاة بسلاح صيد !!
ارتديت ملابس العمل !!!
- دكتور، الفطور !!!
- سعيد، العمل،العمل أولا ،. ضياع وقتنا هباء، هو سبب تأخرنا ،هيا يا

منعم اسحب رف البرّاد، . هكذا قلت !!!
سحب منعم الرفّ، توقفت ساعة الزمن، أحاسيسي، تفكيري،لا اسمع إلا صوت أنفاسي و دقات قلبي، أمسكت بالرف، . يا إلهي، سأقع مغشيا عليّ، إنه عبد الله، صديقي عبدالله، بجسده الفارع وعضلاته المفتولة، يا ربّ ما هذا ؟؟
الليلة الفائتة لم أنم، أشعر أن هناك شئ في الأفق، عبد الله يموت، ينبوع الحياة يتوقف، تنطفئ الشمس، يهلع الجمل، ينتهي الأسد !!!
فتحة بحجم الكفّ جهة القلب، الوجه هادئ وديع، ظلّ ابتسامة ساحرة، أكثر ما أتذكره، ابتسامة كانت تكيدني عندما يتفوق علي، في الغطس كان أكثر تحملا، وأعمق أمتارا، والأسماك يصيد أكثر عدداً و أكبر حجماً، ثم عند ممارستنا لرياضتنا يعلو لهاثي .
وهو لا يلهث مهما كانت مسافة الجري على الكثبان الرملية.
يقول عند توقفنا بابتسامته الساخرة، (واعر يا بو عمر !!!)
وعند المصارعة بعد دقائق أكون الضحية دائما.
الكرم و السّخاء، . حبّ الناس، . ينبوع حب و حنان، يوزّعه على كل من حوله و كل الدنيا !!
يا لحزني، . انقبض قلبي أكثر، زاد تعرّقي، خطوات للوراء، أولى، ثم ثانية !!!
- منعم، ما الذي، مالذي حدث ؟
- أجاب : رحلة صيد مع رفاقه في الصحراء، وكان هو السائق، ومع السرعة و مطاردة الطريدة، الراكب الخلفي وقعت منه البندقية، كانت باتجاه المرحوم،
انطلقت قذيفتان في وقت واحد، توقف، و قال لهم لقد أصبت، ثم أراهم يده المضرجة بالدم بعد وضعها مكان الإصابة، أنزلوني، هرعوا لإنزاله و بهدوء وضعوه على الأرض، عقب قائلا لهم، جهة القبلة، أرجوكم اتجاه القبلة.
نظر إلى زميله المرتبك، الباكي جرّاء ما حدث،ثم قال له :

- لا تخف،. لا تخف،. قضاء و قدر، إنني أسامحك، لا تجعلوا أحداً يؤذيه أريد وعد منكم !!!

هذا ما حدث يا دكتور !!!

ليس هناك ما يقال، كنت بالسيارة، و بدون أن ألتفت، ووجهي إلى الخلاء حتى لا يرى السائق دموعي، قلت :

- أقصى ما لديك من سرعة، و أكثر يا محمد !!!

غالبت نفسي، ولم استطع أكثر، أجهشت بصوت عالٍ، و مع حفيف الريح المستمر سمعت السائق يقول :

- لا حول و لا قوة إلا بالله !!.

****

القارب الخشبي

بعد عشاء ليبي دسم في مربوعة ❖ (صديقنا صالح)، تكرّر حديثنا عن تطوير وضعيّة صيدنا واسترزاقنا من البحر بخيراته.
فالقارب الخشبي التقليدي أصبح قديماً تعلوه الطحالب إلى جانب الإرهاق البدني باستعمال المجاذيف والبطء في جر الشباك، أصبح لزاماً أن نضع حل.
اتفقنا أن كلّ فرد منا يسعى من أجل الحصول على (سلفة)
اليوم التالي سعينا حثيثاً، الأوراق التواقيع، أسبوع اجتمع المبلغ وفي نفس المكان.
أبوزيد :
الخطوة الأولى تمت ماذا بعد ؟ عقبّت وكنت أكثرهم تحمساً بحكم أنني مسئول على كل الفكرة،
يقال أن (مازق الخرطوش) لديه قارب مطاطي (زودياك) جديد بمحرك ياباني أتى به من مدينة البيضاء وهو يوّد بيعه ومناسب لنا تماماً هذا إذا لم يسبقنا إليه مشتري آخر.
نعم الرأي، فلنطرق الحديد وهو ساخن (أجاب صالح) بابتسامته الواثقة.
ثلاثتنا بالسيارة ران علينا صمت غريب،
ابوزيد : ما هذا ؟، بدل أن نفرح لأننا سا نبّز الآخرين في الصيد نشعر العكس.
إجابة صالح :
إنها الطبيعة البشرية ربما هو تخّوف من الجديد ! أو عدم درايتنا بالشيء الحديث. كان ردّي سريعاً انه التأثر لفراق قاربنا الخشبي العتيق (سندباد) وما عشناه معه من ذكريات لا تنسى، ضحكنا لإزالة ما شابنا من شعور.

وجدناه أمام بيته (بحي الحرية) يسقي شجيرات داخل السور، قابلنا مرحباً :
أهلاً، أهلاً، أنشاء الله خير، خير وكل الخير،
سمعنا أن لديك، لم يدعنا نكمل حديثنا، أعرف القارب المطاطي الـ (زودياك)، كان على معرفة بصيدنا للأسماك.
- نعم موجود كان تفاهمنا سريعاً بحكم دماثة خلقه ! وضعنا اللفة المطاطية الرصاصية اللون المغلفة بالنايلون بصندوق السيارة ثم ألحقنا بها المحرك ذو اللون الأزرق، قرأت ما على (زودياك) – صنع في فرنسا – أما المحرك – صنع باليابان.
دخلنا بالسيارة (جراج) ابوزيد، أنزلناه ومعه المحرك بمنتهى الحرص، فككنا اللفة وتحلقنا حوله وهو مفروش في وسطنا، أسرع ابوزيد ناحية باب الحديد اقفله وقال : أخاف الحسد، ثم عقب آه لوا أتحصل على بخور، !!
نظرنا لحباله الجانبية – مقدمته المدببة، فتحنا الحقيبة التي معه، تحتوي على أرضيته صفائح سميكة من الألمنيوم وأعمدة قصيرة وطويلة إلى جانب منفاخ رجل بأنبوب وأشياء أخرى، احترنا في الأمر، معضلة، لم نفقه ما رأيناه، تلاقت نظراتنا ونحن جلوس قبالته استطرد بوزيد بتهكمه الدائم :
ما رأيك يا ذو العلم والشهادات.
لم أرد، قلت نستشير أهل المعرفة في هذا المجال.
صالح : وليكن هو الحل الأمثل.!
ركبنا السيارة من جديد قشعريرة الفرحة بتحقيق الحلم فقط يشوبها بعض القلق.
هنا هذا المنزل أن سيارته موجودة كم نحن محظوظون أن زميل دراسة قديم يمارس هذه الحرفة.
طرقت الباب خرج وعلى وجهه علامات الاستغراب.
أهلاً، أهلاً، تفضلوا،. نتحدث هنا بالسور ام في الداخل، قلنا : هنا

أفضل، احضر كراسي، بالتفافته منه ناحية باب المنزل :
ياولد قهوة، قهوة يا ولد، !!
أجبته : نحن اشترينا (زودياك) مطاطي فرنسي الصنع رقم (2) بمحرك (ياماها) ياباني الصنع (9.9) سعة وهو جديد ومداراه لضعف معلوماتي عن الموضوع استطردت :
ونظراً لأنه حديث الصنع ترددنا في تركيبه وكيفية استعماله خوفاً من تلف أي من أشيائه.
أجاب :
مبروك – ماذا أقول لكم، استعماله صعب وتركيبه أصعب سريع التلف، كثير الانزلاق لا يتحمل الأماكن الحجرية، والمروحة تجتذب قطع النايلون الطافية، تخزينه صعب وبالنسبة للجرذان يعتبر غذاءها الشهي،
بالتفاته مني رأيت (زودياك) عليه رقم (4) مستند إلى جدار السور، أيضاً محرك نصفه داخل برميل مياه.
صاح أين القهوة ياولد، ·
صمت مشوب بالإحباط.. عقّب :
أنا عرفت كيف أحافظ عليه ولا يستطيع غيري أن يستعمله بمثل خبرتي ثم سأل فجأة : من أين تحصلتم عليه ؟.
أجابه صالح : أن قريبي أتى به من مدينة البيضاء كان يمتلكه طيار مدني ونظراً لانشغاله قرر بيعه.
عموماً الاستعمال، شراء حبل ثم صنع مخطاف ثلاثي والمهم أن يكون دائماً معكم مياه عذبه.
وأبعدوه عن الأطفال، قلت لكم ضرورة جالون مياه لان كثرين أخذهم التيار، أيضاً الشمس تسبب انفجاره،
لقد تدربت على تركيبه وقيادته بصعوبة وصبر وطول بال وعندما أكون

داخل البحر أقوده وأنا اشعر أنني مثل قبطان ألماني نازي في بارجة حربية مدمّرة والكل يتبع أوامري في البر والبحر حتى نهاية الرحلة.
شعرت بالضيق، كم أكره الزيف والكذب والتلاعب ؟ قلت وأنا اخفي ما بداخلي :
نريد معلومات أعمق يا رفيقي.
قهوة يا ولد، يا ولد أين القهوة.
ثم اخرج الموبايل الصيني من جيب جلبابه،. مكالمة، ابتعد عنا ثم سمعناه يتحدث بصوت عالي، عن محاولة تخلّيه عن الصيد بالقوارب المطاطية، لأنها لا تصلح،. عند رجوعه وقف ثلاثتنا.
شكراً نريد الذهاب، أضاف :
من الممكن في الغد أن يتاح لي لأشرح أكثر لكم فاليوم مشغول كما ترون وفي النهاية لا أنصحكم به،
القهوة يا ولد، شكرناه وأخبرناه أننا لا نشرب القهوة، فالبن غالي جداً هذه الأيام
اقفل بوزيد باب السيارة بعصبّية واضحة ثم قال : ما هذه المذلّة ؟،
اقسم أن تُحل المشكلة اليوم !. أخذنا القارب والمحرك وكل ما يلزم من بنزين وغيره.
على شاطئ البحر وعلى الرمال فرشناه ثم بدأنا، هذه هنا وهذه تركب هناك هذا اللوح يتعشق في هذه، ثم بدأ نفخة أصبح جاهزاً في الماء ثم المحرك كان أوضح وأسهل صامولات ربطه باللوح الخلفي ثم خيط إدارة المحرك شددّناه مرة ثم مرة غلا هديره، ثم أصبح ساكناً وسلساً، حركنا الذراع يمنه اتجهت مقدم (زودياك) يسره والعكس ثم دواسة البنزين باليد للسرعات. وقت. وأصبح ملكنا بكل ما فيه، نمخر به عباب البحر واليم متعه لا تضاهي،

تلك الليلة لم انم، كنت أولّهم في الصباح الباكر، لا أجد أي كلمات لأصف مشاعري،
شروق الشمس أشعتّها المنعكسة على صفحة المياه كمرآة
النوارس تقتات، تناجي بعضها، وكأنها فَرِحَه لفرحتنا.
بحكم الخبرة مع (سندبادنا) العتيق اخترنا مكان صيد وفير. رمينا الشباك، تناوبنا الغطس بالرئة الصناعية وبنادق الضغط الهوائي بحربونها المريّش.
خرجنا الظهيرة إلى اليابسة بما أصدناه، تاركين الشباك.
الطعام من الطاهي (ابوزيد) الذي يجيده ويجيد التندّر بالآراء حتى أنني من اسماه (الفيلسوف العقيم) وبعد الشاي الأحمر،
اتكأ بوزيد على جانب السيارة موجها نظرة إلى قاربنا الذي نصفه في البر ونصفه الآخر بالماء يتحّرك بحركة المد والجزر وكل ملابسنا داخله، كعادتي في استفزازه، قلت :
ماذا يفكر الفيلسوف (أفلاطون) ؟ نظر نحوي بجديّة نظرة ملؤها عمق الحديث الذي سيعقبها :
أُريد ان أسألكم :
- ما نوع سيارتنا وما صناعتها؟
تويوتا الصنع ياباني.
- و (زودياك) :
فرنسي والمحرك ياباني.
- وملابس الغطس؟
واصل أسئلته، وكنت أُجيب :
- مختلطة ما بين ايطالي، اسباني، يوناني، ملابسنا اغلبها صيني، الهواتف المحمولة ؟ ما بين هنغاري وصيني،

عقبت : إلى ماذا تريد أن تصل ؟
نسيت فقط ملابسنا الداخلية فهي من القطن المصري.
قال : كل شيء أجنبي ومستورد فهمت ما يقصده. قال عبدالله : السجائر والكبريت وأواني الطبخ والصابون كلها عربية خالصة.
ضحك بألم،. وأضاف نحن صنعنا التاريخ بحضارتنا الإسلامية عقود من الزمن لا نستطع أن نصنع إلا الكبريت والسجائر، اتحدي أي دولة عربية تصنع محرك سيارة إلى الآن.
أتعلمون أشك أن هيكلنا العظمي ودورتنا الدموية والتنفسية ليست عربية من كثرة حبنا لما هو أجنبي.

****

المربوعة : حجرة معدة للضيوف.
زودياك : قارب مطاطي بمحرك يستعمل للصيد والكشوفات العلمية والإنقاذ.

التاريخ : 2009.01.08 ف

أوراق ثبوتية

الصورة، ظل شجرة (المانغروف) الاستوائية الوارفة يشبه (أرضيّة شطرنج)، الفارق انتظام المساحات، بحكم تخلل خيوط الشمس لأوراقها، فالوقت ظهيرة، والصيف في أوجه صيف أفريقي اسمر،
الأشعة منقسمة، بعضها تعكسه الأوراق الخضراء العريضة، مخلفة الظل الأرضي الرطب، والبعض الآخر يصل الأرض متخللاً الأوراق،.
مخلفاً بقع ضوئية تضيق وتتسع حسب الفراغات المتاحة.
رابضاً هو، طمعاً في الظل، ومع ارتفاع الشمس في كبد السماء واشتداد القيظ.
انتقلت الأربع براثن، يُمنى للإمام، يقابلها في الجهة الأخرى يسرى خلفيّة للإمام أيضاً، حتى وصل أسفل الجذع، الظل أكثر كثافة.
تمدد. وبحركة قططية، مع إفراز لعابي مسح وجهه بذراعه، تثاءب، وتمطى، ومع إتساع فكيّه، الفم خال من الأنياب والأسنان،
في مكانه قام بحركة اهتزازية،. كرد فعل غريزي لطرد الحشرات المتجمعة، زرافات هنا، وهناك !! وضع رأسه بين ذراعيه.
ازيز جناحا ذبابه (تسي تسي) ذات اللون الأخضر اللامع والعيون الجاحظة تُنبئ بقرب سدل الستار.
وجّه نظره الضعيف للإمام، بحدسه الفطري، ثمة شيء يلوح في الأفق، من خلال الغشاوة، رأى الأوراق تتحرك، برز طيف غامق السواد مشهراً رمحه، يختبئ بين الأكمة، ونظرة تربص فرحة في عينيه،
من خلال نحافته، تبرز سمانتا رجليه بشكل ظاهر.
لم يتحرك الرابض من مكانه رغم إدراكه للخطر القادم !!
وبروح هجومية، انطلقت صرخة حرب همجية، سُمعت في الأرجاء،

قفزة، أعقبتها قفزات !!
أنغرز الرمح بالجسد المسجي بكامل قوةً ساعد صاحبه، واتكأ بكل ثقله على الرمح.
صمت إلا من أزيز تعالى، فقدت العديد من الحشرات مصدر رزقها، صرخة أخرى مشوية بالانتشاء، لا حركة ولا دماء أكثر من ارتعاشه، بعدها سكون، الرمح حتى المنتصف باللحم الأحمر وبالقرب من أربعة قروح مندملة، بصمة الزمن،. آثار مخلب ضاري آخر، انتصر الرابض عليه بمعركة شرسة، من اجل أنثى صغارها تملأ الغابة حبوراً، وهكذا من ملايين السنين !!،

أزعيط (طاطاوية)

نحمل علي عواتقنا أجسادنا ألتعبه، نقف نتحسّر علي لحظة صمت، أمل، نبتسم من حمقنا نظنها تدوم،
نصعد الحلبة، تبدأ الدائرة، الصفع، والركل إلي أن تسقط الأوراق الخريفية، يتصفح غيرنا أجندة ذكرياتنا،
يقف، يقرا، يندهش، يتذكر انه هو الآخر أجندا تنتظر ضمن أرشيف عفن رطب، يغطيها غبار الزمن الركامي
، من معالم طبرق، محب، مرح، كل بيت له، الكل يهتف باسمه، المرابط ازعيط ولد الشيخ، لا احد يؤذيه، فالقدر بالمرصاد فهو من أولياء الله ودعوته صائبة.
التغ، الكاف يحولها إلي تاء يصرخ ممن يضايقه، (ياتلب، اتلاب) !.
سمعته بعفويته : أنا نبي أنزور مقام جدّي الشيخ عبدالسلام الأسمر، نبي أنسافر زليتن !،
وقفت بمحاذاته، عانقني وقال : (من، افريقيطه، بالله كيف حالك) عيونه الفرحة.
أجبته : (غدوه يا زعيط مسافر زليتن، شنو رأيك أتسافر أعماي، اوما برأسه، موافقاً، ومن غبطته اتجهت يديه إلي السماء داعيا : (الله يبارت لت في الصغار ويفتت مالهم والغم).
في الصباح، صعد، جلس علي الكرسي، يحمل ملابسه بصرّة، الراديو سانيو رفيقه الدائم، أبتدا المشوار،
سيارتي الشاحنة بجرارها وحمولتها، طيلة الطريق في صمت، في حال نفسي قلت : سعيد وقانع أعطاه الله،
السكينة، الوقت يمر، (نتغدي يا ازعيط) اوما برأسه موافقا،

قال : باهي، أكل بشهيه فيل، وصلنا أجدابيا، لافتة مركز مرور اجدابيا، ضابط المرور بيده أجندة المخالفات قال :
أمعك مساعد ؟ أجبته بثقة ، نظري ناحية (ازعيط) المبتسم القابع في كرسيه، نعم أعماي هاهو،
ردّ ازعيط وهو يتثاءب : (تداب وستين تداب انا راهو انا راتب ارتوب).
مد الضابط إيصال المخالفة نحوي خمسون دينار في الحال.



المحتويات

صدر للمؤلف

كتاب (الغوص)

قريبا

ذئاب وكلاب (رواية)

القارب الخشب (مجموعة قصصيه)

فناة الشمع (روايه)

مستحثات (مجموعه قصصيه)

abdosoof@gmail.com



عبد السلام عمر سوف

طائر الغاق ...

خوّض بالمياه حتى ركبتيه .. ارتعش بعض الشيء للبرودة التي سرت بجسمه !

شَخُص ناحية الأعمدة الخشبية العتيقة الظاهر جزؤها العلوي بظله المتحرك بتموّج المياه البطيء .. تساءل ؟؟ أخشاب تصدت للملح والشمس والرياح .. يا للمتانة والصمود .

كل عمود جاثم أعلاه طائر غاق أسود .. يميل بين الفينة والأخرى للأمام .. يقارب على الوقوع .. يمدّ رقبته لرفيقه على العمود المجاور .. يناجيه :

غاق .. غاق ...غاااق !

يرفع رأسه بزهو .. مقتنعا بعدم مبالاة رفيقه أو رفيقت... والتمنع .

أحدث جلبة مقصودة بتحريك رجليه ويديه بالمياه .. ا...
.. لم تعره اهتماما .

الطيور الغاقية بعدد الأعمدة .. يقف ريشها مع هبات ...
وقت واحد .. خطوته الأخيرة .. امتدت الرقاب الغا...
الفضولي .. فالربيع وداعة وحب !

توقف: أحسدك يا غاق .. بجانبك أنثاك .. صامتة .. زادك أمامك .. وكل ما حولك ملك لك .

